أثر النشاط والحكمة في تقدم المسلمين

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
1424هـ / 2003م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
كربلاء المقدسة / العراق

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن من الأمور المهمة التي لابد أن نعطي لها الاهتمام الوافي في مجال تفكيرنا هي الإدارة والتخطيط؛ فالإنسان الناجح هو الذي يستفيد بشكل جيد من الزمن بحيث تكون نقطة تحركه مدروسة حتى يصل إلى أهدافه ضمن خطة منظمة، لها بعدها الزمني، حتى لو استغرق الوصول إلى النجاح مدة ليست بقصيرة، والمهم في هذه المسألة أن تكون الشؤون الحياتية مبرمجة وفق أسس متينة ابتداءً من الأسرة باعتبارها أصغر نواة في المجتمع، ومروراً بالشارع والمؤسسة التربوية وكافة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في داخل إطار الدولة الإسلامية، وانتهاءً بالعلاقة مع غير المسلمين من الديانات الأخرى.

فلابد من استغلال الطاقات وتوظيفها في المجال المناسب وتهيئة كافة السبل؛ لكي تبقى الأمة في كيانها المستقل تفرض احترامها ولها قراراتها المسموعة والمتبعة، فلا تكون مرتبطة بعجلة غيرها، وخاصة في قضاياها المصيرية.

ومن هنا ركز الإسلام على الاستقلال والحرية وعدم التبعية لغير المسلم، وقد أكد هذا المعنى في القرآن المجيد حيث يقول تعالى:

Π وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً O[1].

وكذلك ركز الإسلام على أن من أهم مقومات نجاح الأمة اتصافها بمبدأ السلم واللاعنف كما كان عليه رسول اللهκ والإمام أمير المؤمنينγ.

ولو أمعنا النظر في سطور التاريخ لوجدنا أن الدولة الإسلامية نشأت وتكاملت في ظروف غير اعتيادية، حيث كانت تسود الإمبراطوريات والدول العظمى وكان هناك التسابق من مختلف القوى في السيطرة على أكثر بقاع ممكنة من الأراضي وخيراتها، وفي هذه الأحداث ولدت أمة القرآن واتسعت اتساعاً عظيماً ودخلت في حساب الأمم الكبرى.

وكان هنالك الكثير من العوامل المباشرة وغير المباشرة التي تدخلت في بناء الحضارة

(1) سورة النساء: 141.

الإسلامية، كان من بينها:

* الأخلاق الفاضلة التي اتسمت بها شخصية الرسول الأكرمκ.

* المبادئ الإسلامية السامية التي جاء بها القرآن الكريم.

* السياسة الحكيمة التي اتبعها النبي المصطفىκ وأهل بيته الطاهرون %.

* وجود الصفوة المخلصة من أبناء المسلمين، وكانت تعمل بنشاط في تفعيل ونشر التعاليم الإسلامية، أمثال: الإمام علي بن أبي طالبγ والصحابة المنتجبين (رضوان الله عليهم).

* التلاحم والتكافل بين أبناء هذه الأمة.

كل هذه العوامل ساعدت على بناء الدولة الجديدة مع الإشراف والتنظيم المباشر لقائد الأمة ورسول الإنسانيةκ الذي أسس دولة عظيمة المجد، مترامية الأطراف، وفق حكمته وعدله وأخلاقه وعفوهκ .

فكان O شعاره (العفو) و(اللاعنف)..

والتاريخ ينقل الكثير من القضايا التي سجلت انتصاراً عظيماً في مسيرة النبي الأكرمκ الإصلاحية..

وقصته عام الفتح أشهر من نار على علم، حين دخل المسلمون مكة، وكان سعد بن عبادة الأنصاري يحمل راية وينادي في طرقات مكة: اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة. فما كان من النبيκ لما سمع هذا النداء إلا أن يأمر الإمام عليγ أن يتقلدها منه ويغير الشعار، فأخذها الإمام عليγ وأخذ ينادي: Σاليوم يوم المرحمة، اليوم تحمى الحرمةP. وما كان للنبيκ إلا أن يقول لأعداء الإسلام: Σاذهبوا فأنتم الطلقاءP[2].

فهذه السياسة الرشيدة هي التي بنت صرح الإسلام، فلابد للمسلمين أن يكونوا في يقظة ووعي دائم؛ كي لايتيحوا الفرصة لأعداء الأمة بأن يبثوا السموم بين صفوف الجماهير.

وفي هذه الكتاب يوجه الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) أبناء الأمة الإسلامية ليكونوا قادرين على كشف مخططات الأعداء ضد المسلمين، وبالخصوص الطليعة الشبابية المؤمنة، حيث يلزم أن تكون على مستوى عال من الوعي والصبر والثبات. مبيناً دورهم في أداء الرسالة العظيمة، وبناء الأرض، وفي تعميق أواصر الارتباط بالمبادئ الحقة؛ موضحاً لشبابنا

(2) بحار الأنوار: ج21 ص105 ب26.

المؤمن بعض الأمثلة التي يمكن أن يستفيدوا منها لبناء المستقبل الأفضل والعيش الأرغد.

هذا ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة في نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه السلسلة القيمة من المحاضرات الإسلامية لسماحة المرجع الراحل (أعلى الله درجاته) والتي ألقاها H في فترة زمنية قد تتجاوز الأربعة عقود من الزمن في العراق والكويت وإيران.

نرجو من المولى العلي القدير أن يوفقنا لطبع ونشر ما يتواجد منها، وأملاً بالسعي من أجل تحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من نشر سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة، تنقل إلى الأمة وجهة نظر الإسلام تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط.. إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص.ب: 5955/ 13

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

انتشار الإسلام

في رواية عن النبيα ذكرها الفريقان في كتبهم جاء فيها:

لما بعث محمدα بالنبوة، بعث كسرى رسولاً إلى باذان عامله في أرض المغرب: بلغني أنه خرج رجل قبلك يزعم أنه نبي، فلتقل له: فليكفف عن ذلك، أو لأبعثن إليه من يقتله ويقتل قومه، فبعث باذان إلى النبيα بذلك فقالα: Σلو كان شيء قلته من قبلي لكففت عنه، ولكن الله بعثنيP وترك رسل باذان وهم خمسة عشر نفراً ولا يكلمهم خمسة عشر يوماً ثم دعاهم، فقال: Σاذهبوا إلى صاحبكم فقولوا له: إن ربي قتل ربّه الليلة، إن ربي قتل كسرى الليلة ولا كسرى بعد اليوم، وقتل قيصر ولا قيصر بعد اليومP فكتبوا قوله، فإذا هما قد ماتا في الوقت الذي حدثه محمدα[3].

يتضمن حديث النبي الأعظمα هذا إخباراً عن الغيب، ويكشف أيضاً عن واقع وحقيقة اجتماعية مؤداها أن المبادئ الحقة والقيم الصحيحة والفضائل الحميدة عندما تظهر للوجود تموت في مقابلها المبادئ الباطلة بجميع سماتها وخصوصياتها، وكذلك عندما يظهر النبيα وينشر رسالته بين الناس ويحكمهم بالعدل والمنطق فإنه يطيح بكل سلطان ظالم.

وقد أخبرα عن مستقبل الأمة الإسلامية ومستقبل الأمم المجاورة لها؛ فقد ورد عن الإمام الصادقγ قال: Σلما حفر رسول اللهα الخندق مرّوا بكدية، فتناول رسول اللهα المعول من يد أمير المؤمنينγ أو من يد سلمان (رضي الله عنه) فضرب بها ضربةً فتفرّقت بثلاث فرق، فقال رسول اللهα: لقد فتح عليّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر، فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا بكنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلّىP[4].

عمومية الرسالة

من أسباب تقدم الإسلام عمومية رسالته، قال رسول اللهα: Σلما أسري بي إلى السماء ما سمعت شيئا قط هو أحلى من كلام ربي عزوجل. قال. فقلت: يا رب، اتخذت إبراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليما، ورفعت إدريس مكانا عليا، وآتيت داود زبورا، وأعطيت

(3) الخرائج والجرائح: ج1 ص130 ب1.

(4) الكافي: ج8 ص216 كتاب الروضة حديث الصيحة ح264.

سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فما ذا لي يا رب؟

فقال جل جلاله: يا محمد، اتخذتك خليلا كما اتخذت إبراهيم خليلا، وكلمتك تكليما كما كلمت موسى تكليما، وأعطيتك فاتحة الكتاب وسورة البقرة ولم أعطهما نبيا قبلك، وأرسلتك إلى أسود أهل الأرض وأحمرهم وإنسهم وجنّهم، ولم أرسل إلى جماعتهم نبياً قبلك، وجعلت الأرض لك ولأمتك مسجداً وطهورا، وأطعمت أمتك الفيء ولم أحله لأحد قبلها، ونصرتك بالرعب حتى أن عدوك ليرعب منك، وأنزلت سيد الكتب كلها مهيمنا عليك قرآنا عربيا مبينا، ورفعت لك ذكرك حتى لا أذكر بشيء من شرائع ديني إلا ذكرت معيP[5].

إن من العوامل التي تدعم النشاط الإسلامي على المستوى العالمي كون رسالة النبي الأعظمα عالمية، جاءت للناس كافة، جاءت للشرق والغرب، وللعرب والعجم؛ كما قال تعالى: ∏وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَO[6].

فقد بين الله سبحانه شمولية نبوة نبيهα فقال:∏وَما أَرْسَلْناكَO يا محمد بالرسالة التي حملناكها ∏إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِO أي: عامة للناس كلهم،العرب والعجم وسائر الأمم،ويؤيده الحديث المروي عن ابن عباس عن النبيα: Σأعطيت خمساً ولا أقول فخراً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً،وأحلّ لي المغنم ولا يحل لأحد قبلي..P الحديث[7].

وورد في تفسير الآية المباركة أن قوله تعالى: ∏وَما أَرْسَلْناكَO أي: يارسول الله∏إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِO أي: للناس عامة، وكان تقديم ∏كَافَّةً O لإفادة أن الغرض المسوق له الكلام هو عموم الرسالة، وإنما كان ∏كَافَّةً O بمعنى عامة؛ لأنها إذا عمتهم فقد كفتهم . وصفتهم . أن يخرج منها أحد منهم[8].

ومن المؤيدات لعمومية الرسالة وشمولها للقاصي والداني وبقائها إلى يوم القيامة حديث الإمام الصادقα في بيان الأنبياء من أولي العزم حتى انتهى إلى نبي الإسلامα فقال: Σ...حتى جاء محمدα فجاء بالقرآن وشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة

(5) بحار الأنوار: ج18 ص305 ب3 ح11.

(6) سورة سبأ: 28.

(7) تفسير مجمع البيان: ج8 ص217 سورة الأحزاب.

(8) تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج22 ص81 سورة سبأ.

وحرامه حرام إلى يوم القيامة...P[9].

والمتوخى من التذكير بعمومية الرسالة الإسلامية هو أن همتنا وطموحنا في نشر الإسلام يجب أن يكونا بالمستوى العالمي،وأن تكون همة المسلمين عالية قادرة على إيصال الحق إلى أبعد نقطة في العالم، وأن يرقى منطقنا إلى مستوى رفيع، وأن تتسلح أجهزتنا التبليغية بروح المعرفة والوعي والحجج البالغة؛ لنشر التعاليم الإسلامية السامية،وسيرة الرسول الأعظمα والأئمة المطهرينβ،فعندها ستكون عوامل التقدم والنهضة العالمية منجزة على أيدينا.

ومن هنا يتوجب على الرساليين معرفة السياسة الحكيمة لرسول اللهα وأسلوبه في التعامل مع أبناء العالم وملوكهم؛باعتباره مبعوثاً للخلق أجمع.

ولكي نقتدي بهα ونهدي العالم إلى الإسلام وننقذ الناس من هذا الظلام الدامس نشير إلى بعض تلك النقاط من سياسة الرسول الأعظمα لتكون لنا نوراً نستضيء به..

(9) الكافي: ج2 ص17 باب الشرائع ح2.

السياسة الحكيمة لرسول اللهα

قال أمير المؤمنينγ في خطبة له يبين فيها فضل الرسول الكريم وأهل بيتهβ: Σ ...حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍα فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ[10] مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءهُ، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وثَمَرٌ لا يُنَالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وسُنَّتُهُ الرُّشْدُ وكَلامُهُ الْفَصْلُ وحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ[11] مِنَ الرُّسُلِ، وهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِP[12].

وقالγ: Σبَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلالٌ فِي حَيْرَةٍ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وبَلاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَα فِي النَّصِيحَةِ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...P[13].

وقال (صلوات الله وسلامه عليه) في ذكر رسول اللهα أيضاً: Σمُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ومَمَاهِدِ[14] السَّلامَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ[15]، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلامُهُ بَيَانٌ، وصَمْتُهُ لِسَانٌP[16].

لم يقدم التاريخ البشري حاكماً وزعيماً لدولة واسعة الأطراف والنواحي كرسول اللهα في إنسانيته وعدله وإخلاصه، وتواضعه للناس، وصبره واستقامته،وشهامته وشجاعته،وكل هذا من أسرار العظمة في شخصية الرسول الأعظمα التي جعلت منه سيد الأنبياء، وأنموذجاً فذاً

(10) الأرومات: جمع أرومة: الأصل.

(11) فترة: الزمان بين الرسولين.

(12) نهج البلاغة، الخطب: 94 فيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم α وأهل بيتهβ ثم يعظ الناس..

(13) نهج البلاغة، الخطب: 95 يقرر فضيلة الرسول الكريمα.

(14) المماهد: جمع ممهد: ما يمهد، أي يبسط فيه الفراش ونحوه.

(15) الثوائر: جمع ثائرة، وهي العداوة.

(16) نهج البلاغة، الخطب: 96 من خطبة لهγ في الله وفي الرسول الأكرمα.

لساسة العالم، ومعلماً للبشرية جمعاء،الذي قال فيه عزوجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[17] وقال جل وعلا: ﴿وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[18].

فقد استطاع رسول اللهα بسياسته العادلة الحكيمة أن يدخل في الإسلام أكبر عدد ممكن من البشر في مدة قصيرة أدهشت التاريخ حتى قال تبارك تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً﴾[19].

حيث جاء في تفسير السورة المباركة: ﴿إِذا جاءَ﴾ يا محمد﴿نَصْرُ اللهِ﴾ على من عاداك، وهم قريش ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة. وهذه بشارة من الله سبحانه لنبيهα بالنصر والفتح قبل وقوع الأمر ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً﴾ أي: جماعة بعد جماعة، وزمرة بعد زمرة، والمراد بالدين الإسلام، والتزام أحكامه، واعتقاد صحته، وتوطين النفس على العمل به. قيل: لما فتح رسول اللهα مكة، قالت العرب: أما إذا ظفر محمدα بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، أي: طاقة، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً أي: جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً، أو اثنين. فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام. وقيل:﴿فِي دِينِ اللهِ﴾ أي: في طاعة الله وطاعتك، وأصل الدين الجزاء. ثم يعبر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء[20].

العفو العظيم

إن من أبرز سمات النبيα وسياسته العظيمة العفو والصفح حتى عن أشرس الأعداء وأشد المنافقين؛ فإن من عظيم عفوه تعامله مع أهل مكة الذين قتلوا أصحابه وأنصاره وأقرباءه في عشرات المواقف والحروب، وفيهم الذين أخرجوه من بلد صباه وأرض شبابه ومرتع حياته، فأجبروهα على فراق وطنه وعذبوا المسلمين بأنواع التعذيب وقتلوا العديد منهم.

فقد روي عن الإمام السجادγ قال: لما بعث الله محمداًα بمكة وأظهر بها دعوته، ونشر بها كلمته، وعاب أديانهم في عبادتهم الأصنام، وأخذوه وأساؤوا معاشرته، وسعوا في خراب المساجد المبنية كانت لقوم من خيار أصحاب محمدα وشيعته وشيعة علي بن أبي

(17) سورة طه: 41.

(18) سورة القلم: 4.

(19) سورة النصر: 2.

(20) تفسير مجمع البيان: ج10 ص466 سورة النصر.

طالبγ، كان بفناء الكعبة مساجد يحيون فيها ما أماته المبطلون، فسعى هؤلاء المشركون في خرابها، وأذى محمدα وسائر أصحابه، وألجئوه إلى الخروج من مكة إلى المدينة، التفت α بخلفه إليها فقال: الله يعلم أني أحبك، ولولا أن أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بلدا، ولا ابتغيت عنك بدلا، وإني لمغتم على مفارقتك. فأوحى الله تعالى إليه: يا محمد، إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول سأردك إلى هذا البلد ظافراً غانما سالما، قادرا قاهرا، وذلك قوله تعالى: Π إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلى مَعادO[21] يعني إلى مكة ظافرا غانما. وأخبر بذلك رسول اللهα أصحابه، فاتصل بأهل مكة فسخروا منه. فقال الله تعالى لرسولهα: سوف أظهرك بمكة، وأجري عليهم حكمي، وسوف أمنع عن دخولها المشركين حتى لا يدخلها منهم أحد إلا خائفا، أو دخلها مستخفيا من أنه إن عثر عليه قتل. فلما حتم قضاء الله بفتح مكة استوسقت له أمر عليهم عتاب بن أسيد...P[22].

فهؤلاء جاءهم النبيα فاتحاً منتصراً عليهم، تُرى ما الذي كان سيفعله إنسان آخر غير النبيα من موقف كهذا؟

إنه بلا شك سيرتكب مجزرة رهيبة...فالأسرى الذين في قبضته الشريفة هم الظالمون أنفسهم لا غيرهم...أبو سفيان وهند، وأضرابهما من الرجال والنساء.

وعندما حمل الراية سعد بن عبادة زعيم الأنصار وجعل يسير في طرقات مكة ويهزها منادياً: اليوم يوم الملحمة،اليوم تسبى الحرمة. لكن الرسول الأعظمα ذا الأخلاق الرحمانية أبى أشد الأباء، وسجل نقطة مشرفة في تاريخ الإسلام والإنسانية، فأمر علياًγ أن يحمل الراية بدلاً عن سعد بن عبادة وأمره أن ينادي في أهل مكة بلين بعكس ذلك النداء، فنادى عليγ في طرقات مكة: Σاليوم يوم المرحمة، اليوم تحمى الحرمةP ثم جمع النبيα أهل مكة فنادى فيهم: Σما تقولون إني فاعل بكم؟P.

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقالα: Σأقول لكم كما قال أخي يوسف: Π لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُO[23]P.

ثم قالα: Σاذهبوا فأنتم الطلقاءP.

---

(21) سورة القصص: 85.

(22) تفسير الإمام الحسن العسكريγ: ص554 ح329.

(23) سورة يوسف: 92.

ثم قال: Σأيها الناس من قال: لا إله إلا الله فهو آمن، ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن...P[24].

الأسوة الحسنة

لقد كانت دعوة رسول اللهα للرؤساء والملوك إلى الإسلام تتضمن نفس الأسلوب الحكيم والوادع الذي دعا فيه أهل مكة ـ وغيرهم ـ إلى الإسلام، من حيث طريقة الخطاب واختيار الرسل والمبعوثين؛ إذ كانت تتلخص بالدعوة إلى الإسلام والأمن والإيمان، وأي عاقل يرفض دعوة الأمن والسلام والإيمان بالله الواحد القهار؟! الأمر الذي كان يدعو المئات بل والآلاف من الناس إلى قبول الإسلام كدين ورسالة إلى الحياة، وهذه هي إحدى ركائز العظمة في شخصية الرسول الأعظمα والباري جل وعلا في القرآن الكريم يطلب من المسلمين الاقتداء بنبيهمα؛ فهو خير قدوة لخير دين فقال عزوجل: Πلَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراًO[25].

لذا ـ كما ورد في تفسير الآية ـ يلزم على المؤمن أن يقتدي بالرسول الأعظمα في سيرته العطرة وأخلاقه العظيمة، فإن قوله تعالى: Πلَقَدْ كانَ لَكُمْO يعني: أيها المسلمون Πفِي رَسُولِ اللهِO أي: في سيرة رسول اللهα وصبره وعنائه في الله Πأسْوَةٌ حَسَنَةٌO أي:مقتدى صالحاً، بحيث يراه الناس فيعملون كما يعمل α،والأسوة من الاتساء،كما إن القدوة من الإقتداء، بمعنى الإقتداء والمتابعة Πلِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَO أي: يرجو ثواب الله ونعيمه، ويرجو أن يكون في اليوم الآخر من الفائزينΠلِمَنْOبدل من ΠلَكُمْO والرسول α أسوة حسنة لمطلق الناس، وإنما من كان يرجو الله يتأسى فكان أسوة له؛ إذ الانتفاع بهذا المقتدى عائداً إليه Πوَذَكَرَ اللهَ كَثِيراO فإن من ذكره سبحانه ترسخ في كيانه الخوف من الله سبحانه؛ فيطيع أوامره ويقتدي برسوله فيما عمل وسار عليه[26].

في بعض التفاسير: هذا خطاب الله للمكلفين،يقول لهم: إن لكم معاشر المكلفين Πفِي

(24) انظر بحار الأنوار: ج21 ص132 ب26 ضمن ح22.

(25) سورة الأحزاب: 21.

(26) تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج21 ص147 سورة الأحزاب.

رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌO أي: إقتداءً حسناً، في جميع ما يقوله ويفعله متى فعلتم مثله كان حسناً، والمراد بذلك الحث على الجهاد والصبر عليه في حروبه، والتسلية لهم في ما ينالهم من المصائب، فإن النبيα شج رأسه وكسرت رباعيته في يوم أحد، وقتل عمه حمزةγ فالتأسي به في الصبر على جميع ذلك من الأسوة الحسنة... فمن تأسى بالحسن ففعله حسن Πلِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهO فالرجاء توقع الخير، فرجاء الله توقع الخير من قبله، ومثل الرجاء الطمع والأمل، ومتى طمع الإنسان في الخير من قبل الله فيكون راجياً له[27]. لذا يلزم على المسلمين الاقتداء بسيرة رسول اللهα في جميع نشاطاتهم الداخلية والخارجية، في الدعوة إلى الدين ونشر أحكامه بواسطة الحوار الهادئ والموعظة الحسنة والرفق واللين؛فقد ورد عن أمير المؤمنينγ قوله: Σأحب العباد إلى الله تعالى المتأسي بنبيهα والمقتص أثرهP[28].

وقالγ: Σاقتدوا بهدى نبيكم فإنه أصدق الهدى واستنوا بسنته فإنها أهدى السننP[29].

وقال (صلوات الله وسلامه عليه): Σيا أيها الناس، إنه لم يكن لله سبحانه حجة في أرضه أوكد من نبينا محمدα ولا حكمة أبلغ من كتابه القرآن العظيم، ولا مدح الله تعالى منكم إلا من اعتصم بحبله واقتدى بنبيه، وإنما هلك من هلك عند ما عصاه وخالفه واتبع هواه؛ فلذلك يقول عز من قائل: Πفَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌO[30]P[31].

اليقظة والفكر

قال أمير المؤمنينγ في وصيته لمحمد بن الحنفية: Σمن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، ومن تورط في الأمور غير ناظر في العواقب فقد تعرض لمفظعات النوائب، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم، والعاقل من وعظه التجارب، وفي التجارب علم مستأنف، وفي

(27) التبيان في تفسير القرآن: ج8 ص327 سورة الأحزاب.
(28) غرر الحكم ودرر الكلم: ص110 ق1 ب4 ف3 ح1949.
(29) غرر الحكم ودرر الكلم: ص110 ق1 ب4 ف3 ح1953.
(30) سورة النور: 63.
(31) غرر الحكم ودرر الكلم: ص110 ق1 ب4 ف3 ح1961.

تقلب الأحوال علم جواهر الرجالP[32].

وقالγ: Σإذا قدمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كل أمرP[33].

وروي أن أمير المؤمنينγ عندما جاء إلى الكوفة وأقام فيها وجعلها عاصمة البلاد الإسلامية، سأل أصحابه ذات يوم قائلاً: Σهل يوجد في الكوفة أحد من أصحاب كسرى؟P.

قالوا: نعم هناك رجل اسمه جميل من أصحاب كسرى، وهو شيخ كبير طاعن في السن.

فطلبه الإمام أمير المؤمنينγ فجاءوا به إليه، وعندما استقر به المجلس سأله الإمامγ: Σما كانت وظيفتك عند كسرى؟P.

قال: كنت كاتبه.

فقالγ: Σبرأيك، في أي شيء يكون نفع الإنسان؟P.

قال: أن يكون أعداء الإنسان كثيرين وأصدقاؤه قليلين؛ وذلك حتى يكون الإنسان في كل لحظة على حذر تام من كيد الأعداء، فحينئذ يكون مهتماً كثيراً لكي لا تصدر منه نقطة ضعف يريدها الأعداء، ودائماً يراقب أعماله وتصرفاته الشخصية والاجتماعية، فيكون هذا داعياً إلى رقي هذا الإنسان.

فقالγ: ΣأحسنتP.

ومن الواضح أن الإنسان يصبح حذرا ويقظاً عندما يكثر أعداؤه في كل جوانب حياته، وجميع تصرفاته، لكن هذا وحده لا يكفي؛ إذ لابد من اقتران الحذر برفع النواقص ومواطن الضعف، واستبدالها بمقومات القوة والكمال، وهذا ما يحتاجه المسلمون اليوم؛ لما هم عليه من كثرة أعدائهم وقلة أصدقائهم، الأمر الذي يوجب شدة الحذر والإمعان في الاهتمام برفع النواقص، لكي لا يعطوا فرصة للعدو للتغلب عليهم.

(32) وسائل الشيعة: ج15 ص281 ب33 ح20517.

(33) غرر الحكم ودرر الكلم: ص58 ق1 ب1 ف5 ح597.

لا يغيّر الله ما بقوم

إذا بقي المسلمون على حالهم هذه في الوقت الحاضر فإنهم سيتلقون الصفعات والنكبات المتتالية يوماً بعد يوم من هؤلاء الأعداء الذين وقفوا ضدهم.

حيث إن المسلمين غافلون عن التوجه إلى أنفسهم ولم يصلحوا أمورهم ويرفعوا نواقصهم المعنوية والمادية، فإن أوضاعهم ـ لا سمح الله ولا قدر ـ سوف تسير من سيئ إلى أسوأ؛ لأن الله يقول:

Π لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ O[34].

فإنه لا يغير ما فيهم أو يصلحهم إلا إذا غيروا أنفسهم وتركوا المعصية والشرك وتوجهوا إلى الشكر والطاعة والإيمان، فحينئذ فقط تنهال العناية الإلهية والرحمة عليهم؛ لأنها تحتاج إلى مقدمات وقابليات.

صحيح أن رحمة الله تعالى عامة شاملة للجميع كما أخبر سبحانه وتعالى: Π وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً O[35].

وقال عزوجل أيضاً: Π وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ O[36].

ولكن هذا كلي مشكك ـ على اصطلاح المناطقة ـ وذو مراتب ودرجات، فيلزم على الإنسان أن يوفر في نفسه القابلية والاستعداد فيحصل على تمام الرحمة والعناية، فقد قال سبحانه:

Π إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ O[37].

---

(34) سورة الرعد: 11.

(35) سورة غافر: 7.

(36) سورة الأعراف: 156.

(37) سورة الأعراف: 56.

كيف انتشر الإسلام؟

انتشر الإسلام بمقومات عديدة كان منها نشاط وحكمة المسلمين، قال الإمام جعفر بن محمدγ للمفضل: Σأي مفضل، قل لشيعتنا: كونوا دعاة إلينا بالكف عن محارم الله واجتناب معاصيه واتباع رضوان الله، فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا مسارعينP[38]. لقد كان المسلمون في السابق يهتمون بتقدم الإسلام ونشره اهتماماً شديداً؛ لذلك ربّوا كوادر كثيرة عملت على خدمة الإسلام ورفع رايته. روي أن السيد الرضي[39] أسس في بغداد تجمعاً

(38) دعائم الإسلام: ج1 ص58 ذكر وصايا الأئمة (صلوات الله عليهم) ووصفهم اياهم.

(39) هو الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام أبي إبراهيم موسى الكاظمγ. أمه السيدة فاطمة بنت الحسين بن أبي محمد الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالبγ. كان والده عظيم المنزلة لقبه أبو نصر بهاء الدين بالطاهر الأوحد، ولي نقابة الطالبيين خمس مرات، ومات وهو النقيب، وله في خدمة الملة والمذهب خطوات بعيدة، والشريف الرضي هو مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة، وإمام من أئمة العلم والحديث والأدب، وبطل من أبطال الدين والعلم والمذهب.

ذكر من أساتذته ومشايخه: أبو سعيد النحوي المعروف بالسيرافي تلمذ عليه في النحو وهو طفل لم يبلغ عمره عشر سنين، وأبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي وله منه إجازة، وأبو محمد الشيخ الأقدم هارون بن موسى التلعكبري، وابن نباتة صاحب الخطب، والشيخ الأكبر شيخنا المفيد، قرأ عليه هو وأخوه علم الهدى المرتضى، قال صاحب (الدرجات الرفيعة): كأن المفيد رأى في منامه فاطمة الزهراء بنت رسول اللهα دخلت إليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها: الحسن والحسينχ صغيرين فسلمتهما إليه وقالت له: علمهما الفقه، فانتبه متعجبا من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها ابناها: علي المرتضى ومحمد الرضي، صغيرين، فقام إليها وسلم عليها فقالت له: أيها الشيخ، هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه! فبكى الشيخ وقص عليها المنام وتولى تعليمهما.

أما تلامذته والرواة عنه فهم جمع من أعيان الطائفة وأعلام العامة منهم: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، والشيخ جعفر بن محمد الدوريستي، والشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الحلواني كما في الإجازات، والقاضي أبو المعالي بن قدامة، وأبو زيد الحسيني الجرجاني، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي، من أهم تآليفه وكتبه كتاب نهج البلاغة، حيث كان يهتم بحفظه حملة العلم والحديث منذ العصور المتقادمة حتى اليوم، ويتبركون بذلك كحفظ القرآن الشريف، وعد من حفظته في قرب عهد المؤلف القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني، فإنه كان يكتب (نهج البلاغة) من حفظه كما ذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته. ومن حفاظه في القرون المتقادمة الخطيب الفارقي، وغيرهم كثير. وقد توالت عليه الشروح منذ عهد قريب من عصر المترجم له بما يربو على السبعين شرحا، وممن شرحه: السيد علي بن الناصر المعاصر للشريف الرضي شرحه وأسما شرحه بـ(أعلام نهج البلاغة) وهو أول الشروح وأقدمها، وأبو حامد عزالدين عبد الحميد الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي المدايني، والعلامة الحلي جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر، وغيرهم كثير من العلماء الأعلام الذين لايشكون في أن الكتاب من تآليف الشريف الرضي، وتصافقهم على ذلك معاجم الشيعة جمعاء، فلن تجد من ترجمة من أربابها إلا ناصا على صحة النسبة وجازما باستقامة النسب منذ عصر المؤلف وإلى اليوم الحاضر، انظر فهرست أبي العباس النجاشي، وفهرست الشيخ منتجب الدين.

يجمع تحت لوائه الأفراد البارزين من غير المسلمين ويطلعهم على محاسن الإسلام وأهدافه السامية وقوانينه السمحاء،وذلك من أجل جذبهم إلى الإسلام الحنيف،وكان من هؤلاء (مهيار الديلمي)[40] الذي كان مجوسياً، ولكن بعد التوجيه المركز والإرشاد المتواصل له من قبل السيد الرضي أصبح مسلماً وموالياً لأهل البيتβ ومن العلماء البارزين في عصره ومن الشعراء المشهورين أيضاً، ويعتبر ديوانه (ديوان مهيار الديلمي) من أفضل الدواوين في الشعر العربي والإسلامي، وكان هذا عملاً واحداً من الأعمال الكثيرة التي كان يقوم بها المسلمون

ومن تأليفاته: خصائص الأئمةβ، ومجازات الآثار النبوية، تلخيص البيان عن مجاز القرآن، حقايق التأويل في متشابه التنزيل وهو تفسيره ذكره في كتابه (المجازات النبوية) يعبر عنه تارة بحقايق التأويل، ومعاني القرآن، وتعليق خلاف الفقهاء. وتعليقه على إيضاح أبي علي الفارسي، وكثير غيرها.

انشأ دار العلم التي يقول عنها ابن خلكان: إنه اتخذ لتلامذته عمارة سماها (دار العلم) وأرصد لها مخزنا فيه جميع حاجياتهم من ماله. لقبه بهاء الدولة بالشريف الأجل، وبذي المنقبتين، وبالرضي ذي الحسبين، وأمر أن تكون مخاطباته ومكاتباته بعنوان (الشريف الأجل) وهو أول من خوطب بذلك من الحضرة الملوكية. تولى الشريف نقابة الطالبيين، وإمارة الحاج والنظر في المظالم وهو ابن(21 عاما) على عهد الطائع، وصدرت الأوامر بذلك من بهاء الدولة وهو بالبصرة، ثم عهد إليه بولاية أمور الطالبيين في جميع البلاد فدعي (نقيب النقباء) وأتيحت للشريف الخلافة على الحرمين على عهد القادر، تولى الشريف الرضي هذه الإمارة منذ صباه في أكثر أيام حياته ووزيرا لأبيه ونائبا عنه، ومستقلا بها من سنة (380 هـ)، وله فيها مواقف عظيمة سجلها التاريخ وأبقى له ذكرى خالدة.

توفي في بغداد سنة (406هـ) ودفن في داره الكائنة في محلة الكرخ بخط مسجد الأنباريين، وذكر كثير من المؤلفين نقل جثمانه إلى كربلاء المقدسة بعد دفنه في داره بالكرخ، فدفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى. انظر الغدير: ج4 ص180 شعراء الغدير في القرن الخامس.

(40) مهيار بن مرزويه أبو الحسن الديلمي البغدادي. أديب فاضل وشاعر كبير من شعراء أهل البيتβ المجاهرين بولائهم الشديد، من تلامذة الشريف الرضي، جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم. قال له أبو القاسم بن برهان: انتقلت بإسلامك من زاوية من النار إلى زاوية منها! فقال: ولم؟ قال: لأنك كنت مجوسيا فأسلمت، فصرت تسب السلف في شعرك. فقال: لا أسب إلا من سبه الله ورسوله، قاله ابن شهر آشوب في معالم العلماء. له شعر كثير في مدح أهل البيتβ، وديوان شعر كبير.

وقال بعض العلماء: خيار مهيار خير من خيار الرضي وليس للرضي رديء أصلا. ومن شعره قوله من قصيدة:

حملوهـــا يـــوم الســـقيفة أوزا ... را تخـــف الجبـــال وهـــي ثقـــال
ثـم جـاؤوا مـن بعـدها يسـتقيلو ... ن وهيهـــات عثـــرة لا تقـــال
وتحـــال الأخمـــار والله يـــدري ... كيـف كانـت يـوم الغـدير الحـال

قال ابن خلكان: مهيار بن مرزويه، الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور، كان جزل القول مقدما على أهل وقته، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه، وذكره أبو الحسن الباخرزي في (دمية القصر) فقال: هو شاعر، له في مناسك الحج مشاعر، وكاتب تجلى تحت كل كلمة من كلماته كاعب، وما في قصيدة من قصائده بيت يتحكم عليه بلو وليت، وهي مصبوبة في قالب القلوب، وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب، ثم قال ابن خلكان: توفي في سنة (428هـ). انظر أمل الآمل: ج2 ص329 باب الميم 1021.

علماء وشعراء وخطباء وغيرهم من أجل جذب الناس إلى الإسلام.

علم الهدى

ذكر أن الناس أصابهم السنين (قحط شديد) في بعض السنين في أيام السيد المرتضى علم الهدىع[41] فاحتال رجل يهودي على تحصيل قوت يحفظ نفسه من الهلاك، فحضر مجلس المرتضى وأستأذنه أن يقرأ عليه شيئا من علم النجوم، فأذن له وأمر له بجائزة تجري عليه

(41) هو أبو القاسم علي بن أبي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبγ الملقب (ذا المجدين علم الهدى) أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بنى العباس ودولة بني بويه. أما والدة الشريف المرتضى فهي فاطمة بنت الحسين بن احمد بن الحسن الناصر، وهى أم أخيه أبي الحسن الرضي. كان الشريف المرتضىϖ أوحد زمانه فضلا وعلما وفقها وكلاما وحديثا وشعرا وخطابة وكرما وجاها، إلى غير ذلك. قال ابن بام الأندلسي في أواخر كتاب (الذخيرة) في وصفه: كان هذا الشريف إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه اخذ عظماؤها صاحب مدارسها وجماع شاردها وآنسها ممن سارت أخباره وعرفت به أشعاره وحمدت في دين الله مأثوره وآثاره إلى تواليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين ما يشهد انه فرع ذلك الأصل الأصيل ومن أهل ذلك البيت الجليل. ولد سنة (350 هـ) وقرأ هو وأخوه الرضي على ابن نباتة صاحب الخطب وهما طفلان ثم قراكلاهما على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، تولى تعليمهما وانعم الله عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باق ما بقي الدهر. وذكر في سبب تسمية الشريف المرتضى بعلم الهدى انه مرض الوزير أبو سعيد محمد بن آشين بن عبد الصمد فرأى في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالبγ وهو يقول له: Σقل لعلم الهدى يقرأ عليك حتى تبرأP.

فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟

فقال: Σعلي بن الحسين الموسويP فكتب الوزير إليه بذلك، فقال المرتضى: الله الله في أمري فإن قبولي لهذا اللقب شناعة علي، فقال الوزير: ما كتبت إليك إلا بما لقبك به جدك أمير المؤمنينγ فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب إلى المرتضى: تقبل يا علي بن الحسين ما لقبك به جدك أمير المؤمنين؟

قال: فقبل واسمع الناس. كانϖ نحيف الجسم حسن الصورة. وكان يدرس في علوم كثيرة ويجرى على تلامذته رزقا فكان للشيخ أبي جعفر الطوسيϖ أيام قراءته عليه كل شهر أثنى عشر دينارا، وللقاضي ابن البراج كل شهر ثمانية دنانير. لقب بالثمانيني لأنه أحرز من كل شيء ثمانين، حتى أن مدة عمره كانت ثمانين سنة وثمانية أشهر، تولى نقابة النقباء وأمارة الحاج والمظالم بعد وفاة أخيه الرضي أبى الحسنϖ وهو منصب والدهما.

قال أبو الحسن العمري: اجتمعت بالشريف المرتضى سنة خمس وعشرين وأربعمائة ببغداد، فرأيته فصيح اللسان يتوقد ذكاء.

له مصنفات كثيرة منها: كتاب (الشافي في الإمامة)، و(الذخيرة) و(جمل العلم والعمل) وكتاب (تنزيه الأنبياء) و(الذريعة في الأصول) و(الغرر والدرر) و(المقنع في الغيبة) و(الخلاف في أصول الفقه)، وكتب أخرى في المسائل وغير ذلك، وديوان شعره يزيد على عشرين ألف بيت، ذكر أبو القاسم التنوخي قال: حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومفرداته. وقال الثعالبي في كتاب (اليتيمة): إنها قومت بثلاثين ألف دينار بعد أن أهدى إلى الرؤساء والوزراء منها شطرا عظيما.

توفي سنة(436هـ) ودفن أولا في داره ثم نقل منها إلى جوار جده الحسينγ فدفن في مشهده مع أبيه وأخيه وقبورهم ظاهرة مشهورة (قدس الله أرواحهم الطاهرة).

كل يوم، فقرأ عليه برهة ثم أسلم على يده.

فقصة السيد المرتضى علم الهدى وسيرته مع اليهودي ـ وغيره ـ توضح دور رجال الإسلام الحريصين على نشر وإشاعة هذا الدين الحنيف، وقوة تأثيرهم على غيرهم والمخالفين معهم، كما هو شأن الأئمةβ مع الناس. فإننا نرى كيف أن اليهودي وقد نبذ يهوديته وأعتنق دين الإسلام لما شعر به من عظمة هذا الدين وعظمة الرجال القائمين عليه الممثلين له تمثيلا مشرقا يجذب القلوب والعقول إليه، لا تمثيلا سيئاً ينفر الناس منه. فالسيد علم الهدى صاغ طلب العلم في إطار الإيمان بالله عزوجل فعكس من خلاله الفكر الإسلامي والنظريات الإسلامية والآيات الدالة على جوانب الخير لحياة الإنسان؛ ولعل هذا من الأسباب التي جعلت السيد مؤهلا لأن يدعي بـ(علم الهدى) فكان علم نور وهداية، وسببا مباشراً لهداية الناس لحقيقة الإيمان بالله[42].

(42) لؤلؤة البحرين: ص317.

ستر العطاء

عندما كنا في مدينة كربلاء المقدسة وفي يوم من أيام الصيف الحار كنت عائداً إلى البيت بعد أداء صلاتي الظهر والعصر، شعرت بأن أحداً يتابعني، وكان ذلك أيام حكومة (عبد السلام عارف)[43]، واحتملت أنهم يريدون اعتقالي، لكني واصلت المسير في طريقي حتى بلغت باب المنزل، فتقدم إليّ هذا الرجل الذي كان يعقبني وهو متزمل[44] بعباءة على رأسه وسلم عليّ فعرفته، حيث كان أحد التجار المعروفين في كربلاء، فقدم لي ظرفاً فيه ثلاثة آلاف دينار لدعم المشاريع الإسلامية، وقال: لا أريد أن يطلع أحد على ذلك!

أريد أن أقول: إن هنالك أفراداً يهتمون بالمسائل الدينية والمؤسسات الخيرية إلى هذه الدرجة، وهذه الحالة تنبع عند الأفراد من التربية الصالحة والمحيط الملتزم، وتنمو بالتركيز والاهتمام والمتابعة، والتأريخ مليء بالأفراد الذين تقدموا وأحرزوا مراتب عالية بسبب المواصلة المستمرة في العمل والتعب من أجل التقدم.

روي عن أبي جعفرγ قال: Σلما أخذت في غسل أبي علي بن الحسينγ أحضرت معي من رآه من أهل بيته، فنظروا إلى مواضع السجود منه في ركبتيه وظاهر قدميه وبطن كفيه وجبهته قد غلظت من أثر السجود حتى صارت كمبارك البعير[45]، وكان (صلوات الله عليه) يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعةP.

ثم نظروا إلى حبل عاتقه وعليه أثر قد اخشوشن، فقالوا لأبي جعفرγ: أما هذه فقد

---

(43) عبد السلام محمد عارف، من مواليد عام (1339هـ. 1921م) في مدينة الرمادي، كان من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار، اشترك مع عبد الكريم قاسم عام (1377هـ. 1958م) في الإطاحة بالنظام الملكي، وبعد اختلافه مع قاسم أقصي من مناصبه، عيّن سفيراً في العاصمة الألمانية، ألقي القبض عليه وأودع السجن وصدر حكم الإعدام عليه وعفي عنه بعد أن قضى أكثر من سنتين في السجن. أصبح رئيساً للجمهورية بعد الإطاحة بنظام قاسم في (14 رمضان 1382هـ . 8 شباط عام 1963م) ومنح نفسه رتبة مشير. اتّسم حكمه بالكبت والإرهاب والعنصرية القبلية والمناطقية ، اهتم بتعيين الأقارب وأبناء العشيرة والبلدة عبر إسناد مناصب لهم بغض النظر عن المؤهلات والقابليات والكفاءات. كما عرف بالتعصب المذهبي. انقلب على البعثيين في عام (1963م) وأقصاهم من وزارته وأصدر كتاباً ضدّهم سمّاه المنحرفون، وصم البعثيين بكلّ قبيح من قبيل الشذوذ الجنسي والسرقة وما إلى ذلك. قتل مع عددٍ من الوزراء في عام (1385هـ. 1966م) إثر سقوط طائرته قرب البصرة، ويرى البعض أنّ موته كان عملية مدبّرة نتيجة وضع قنبلة في الطائرة. وقد تصدى سماحة السيد الشيرازيϖ لمعارضته ومحاربة حكومته، وسائر علماء الدين وقفوا منه هذا الموقف المشابه لما كان يمارسه من أعمال مخالفة للأحكام الإلهية السمحاء. انظر كتاب (تلك الأيام) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه).

(44) التزمل: التلفف بالثوب، وقد تزمل بالثوب وبثيابه أي: تدثر، انظر لسان العرب: ج11 ص311 مادة (زمل).

(45) مبارك البعير: من بَرَكَ البعير إذا أناخ في موضعه فلزمه، وتطلق البركة أيضا على الزيادة. انظر لسان العرب: ج10 ص396 مادة ΣبركP.

علمنا أنها من أثر السجود، فما هذا الذي على عاتقه؟!

قالγ: Σوالله، ما علم به أحد غيري، وما علمته من حيث علم أني علمته، ولولا أنه قد مات ما ذكرته، كان إذا مضى من الليل صدره قام وقد هدأ كل من في منزله، فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين خفيفتين، ثم نظر إلى كل ما فضل في البيت عن قوت أهله، فجعله في جراب ثم رمى به إلى عاتقه وخرج محتسباً يتسلل لا يعلم به أحد، فيأتي دوراً فيها أهل مسكنة وفقر، فيفرق ذلك عليهم وهم لا يعرفونه، إلا أنهم قد عرفوا ذلك عنه، فكانوا ينتظرونه، فإذا أقبل قالوا: هذا صاحب الجراب، وفتحوا أبوابهم له، ففرق عليهم ما في الجراب وانصرف به فارغاً، يبتغي بذلك فضل صدقة السر وفضل صدقة الليل وفضل إعطاء الصدقة بيده، ثم يرجع فيقوم في محرابه فيصلي باقي ليله، فهذا الذي ترون على عاتقه أثر ذلك الجرابP[46].

وعن معلى بن خنيس قال: خرج أبو عبد اللهγ في ليلة قد رشت، وهو يريد ظلة بني ساعدة فاتبعته، فإذا هو قد سقط منه شيء، فقال: Σبسم الله، اللهم اردده علينا P.

فأتيته فسلمت عليه، فقال: Σمعلى؟P. قلت: نعم جعلت فداك.

قال: Σالتمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إليP.

فإذا أنا بخبز كثير منتشر، فجعلت أدفع إليه الرغيف والرغيفين، وإذا معه جراب أعجر من خبز، قلت: جعلت فداك، أحمله علي. فقال: Σأنا أولى به منك، ولكن امض معيP.

فأتينا ظلة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتى أتى على آخرهم، حتى إذا انصرفنا، قلت له: يعرف هؤلاء هذا الأمر؟

قال: Σلا، لو عرفوا كان الواجب علينا أن نواسيهم بالدقة ـ وهو الملح ـ إن الله لم يخلق شيئاً إلا وله خازن يخزنه إلا الصدقة؛ فإن الرب تبارك وتعالى يليها بنفسه ـ إلى أن قال: قالγ: ـ إن صدقة الليل تطفئ غضب الرب، وتمحو الذنب العظيم، وتهون الحساب، وصدقة النهار تنمي المال، وتزيد في العمرP[47].

وقال أبو عبد الله الصادقγ في قول الله عزوجل: Πفَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداًO[48].

---

(46) مستدرك الوسائل: ج7 ص182 ب11 ح7981.

(47) مستدرك الوسائل: ج7 ص186 ب12 ح7991.

(48) سورة الكهف:110.

قال: Σالرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله؛ إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه . ثم قال . ما من عبد أسر خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبدٍ يسر شراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له شراًP[49].

(49) الكافي: ج2 ص293 باب الرياء ح4.

الهمة العالية

مما يلزم على المسلمين في نشاطهم وتقدمهم التحلي بالهمة العالية. عندما صدر كتاب القانون لابن سينا[50] قام كثير من العلماء بشرح هذا الكتاب القيّم، وكان أحد الشرّاح يقيم في مدينة شيراز وكان معاصراً للشيخ نصير الدين الطوسي[51] ، وقد واجهته صعاب كثيرة

(50) الشيخ الرئيس ابن سينا (370. 428هـ) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. ذهب إلى المكتب وعمره خمس سنين، واستغنى عن الاصول العربية والقواعد الأدبية وله من العمر عشر سنين، فتلمذ عند محمود مساح في علوم الحساب والهندسة والجبر والمقابلة بإشارة والده، قرأ المنطق من أقسام مسائل الحكمة والاقليدس والمجسطي على الحكيم عبد الله بابلي في بخارا، وبعد ذلك اشتغل في الحكمة الطبيعية والإلهية، ففتحت له أبواب العلوم. ثم اشتغل بتحصيل علم الطب، فترقى في زمان قليل، فصار وحيدا في ذلك الفن، ومع ذلك كان يدرس مسائل الفقه والاصول. فلما بلغ سن الثامنة عشر فرغ من جميع العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية، فمال إلى علم ما بعد الطبيعة، فاشتغل بمطالعة ما كتب في ذلك العلم.

صنف نحو مائة كتاب، بين مطول ومختصر، ونظم الشعر الفلسفي الجيد، ودرس اللغة مدة طويلة حتى بارى كبار المنشئين. أشهر كتبه (القانون) في الطب، يسميه علماء الفرنج (Canonmedicina) بقي معولا عليه في علم الطب ستة قرون، ترجمه الفرنج إلى لغاتهم وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في روما وهم يسمون ابن سينا: (Avicenne) وله عندهم مكانة رفيعة. ومن تصانيفه (المعاد) رسالة في الحكمة، و(الشفاء) في الحكمة، و(السياسة)، و(أسرار الحكمة المشرقية)، وأرجوزة في (المنطق)، ورسالة (حي بن يقظان)، و(أسباب حدوث الحروف)، و(الإشارات) و(الطير)، و(أسرار الصلاة). قيل: كان الطب معدوما فأوجده بقراط، وكان ميتا فأحياه جالينوس، وكان متفرقا فجمعه الرازي، وكان ناقصا فأكمله ابن سينا. انظر: طرائف المقال: ج2 ص488 ب10 ترجمة ابن سينا، الأعلام: ج2 ص241 الرئيس ابن سينا.

(51) هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل، محمد بن محمد بن الحسن الطوسيϖ صاحب كتاب تجريد العقائد، وكتاب التذكرة النصيرية، وكتاب تحرير أقليدس، وتحرير المجسطي، وشرح الإشارات، والفصول النصيرية، والفرائض النصيرية، والأخلاق الناصرية، وكثير غيرها.

ومن جملة أمره المشهور المنقول حكاية استيزاره للسلطان هولاكو بن جنكيزخان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نائرة الجور.

بفضل علمه الجم أصبح ذا حرمة وافرة ومنزلة كبيرة عند هولاكو خان سلطان التتار، فعمل الرصد الكبير في مراغة واتخذ قبة وخزانة عظيمة ملأها بالكتب النفيسة ومنها ما نهب من بغداد والشام والجزيرة، حتى قيل: إنه تجمع فيها مايزيد على أربعمائة ألف مجلد، ولما أمر هلاكو خان المحقق بالرصد، واختار محروسة مراغة من اعمال تبريز لبناء الرصد، فرصد فيه واستنبط عدة من الآلات الرصدية. وكان من أعوانه على الرصد من العلماء وتلاميذه جماعة أرسل إليهم هلاكو وأمر بإحضارهم. منهم: العلامة قطب الدين محمود الشيرازي صاحب شرف الأشراف والكليات، وهو فاضل حسن الخلق والسيرة مبرز في جميع أنواع الحكمة، محقق مدقق مفيد ومستفيد في صحبة المحقق الطوسي، ومنهم مؤيد الدين العروضي الدمشقي، وكان متبحرا في الهندسة وآلات الرصد، ومنهم فخر الدين كان طبيبا فاضلا حاذقا. ومنهم نجم الدين القزويني، وكان فاضلا في الحكمة والكلام. ومنهم محي الدين الأخلاطي، وكان فاضلا مهندسا في العلوم الرياضية، ومنهم محي الدين

لدى شرح القانون، فكان يسافر كثيراً إلى أصفهان ومنها إلى قزوين ليتباحث مع العلماء هناك كل ما واجهته مسألة صعبة في كتاب القانون، ولكنه بسفره إلى هاتين المدينتين ورغم لقائه للعلماء لم يستطع حل كل مشكلات الكتاب، ولم يعثر على أحدٍ يرشده إلى حلها، فقيل له: إن في بغداد شخصاً متبحراً في كتاب القانون، يدعى: الخواجة نصير الدين الطوسي فاذهب إليه لعله يعينك على أمرك.

فسافر من قزوين إلى بغداد وعندما وصلها بادر إلى السؤال عن نصير الدين الطوسي، فقيل له: إنه أصبح وزيراً لسلطان المغول[52]، وإذا كنت تريد لقاءه فعليك أن تنتظر في المكان الفلاني عند وقت الصلاة حيث يخرج الخواجة للصلاة والاستراحة. فجعل هذا العالم ينتظر الشيخ في المكان المحدد حتى شاهد موكب الشيخ، فتقدم إليه طالباً لقاءه، فأخذه الشيخ الطوسي إلى داره وحل له جميع مشكلات القانون المستعصية.

فهذه القصة تدل على مدى علمية الخواجة نصير الدين الطوسي العميقة، وعلى مدى عزم وهمة العالم الشارح في نفس الوقت على المتابعة المستمرة في إنجاز ما شرع به من عمل، بالرغم من كثرة ما تطلبه ذلك من سفر وتحمل للصعوبات والمشاكل. والخواجة نصير الدين الطوسي بالرغم من كثرة مهام منصب الوزارة الذي يتقلده نراه يعطي مقداراً من وقته للشارح، ويحل له جميع غوامض كتاب القانون التي اعترضت ذلك العالم في شرحه.

كما يذكر أن الخواجة نصير الدين الطوسيε سئل يوما من قبل أحد العلماء وهو في معركة القتال، وبينما كان واضعاً إحدى رجليه على الركاب والأخرى على الأرض عن أربعمائة مسألة من المعضلات والمشكلات الكلامية العلمية، فأجابها جميعا في فترة قياسية

المغربي، وكان مهندسا فاضلا في العلوم الرياضية وأعمال الرصد. ومنهم نجم الدين الكاتب البغدادي، وكان فاضلا في أجزاء الرياضية والهندسة وعلم الرصد وكاتبا مصورا، ومات المحقق الخواجة، وبان النقص في كتاب الزيج، ولنقصهم عن ذلك لم يتموه، فلذلك بقي الخلل فيه فصار متروكا.

ولادته ϖ بمشهد طوس في سنة (597هـ)، وتوفي في سنة (672هـ) ودفن في مقابر قريش في الكاظمية. انظر روضات الجنات: ج6 ص300 باب ما أوله الميم، والكنى والألقاب: ج3 ص208، وأمل الآمل: ج2 ص299 باب الميم ح904.

(52) هولاكو (1217.1265م) مغولي مؤسس دولة المغول الإيلخانية في إيران سنة (1251م) حفيد جنكيز خان، أخضع أمراء الفرس والإسماعيلية في قلعة (الموت) (1256م) لحكمه، قضى على الخلافة العباسية في بغداد (1258م) واحتل سورية، هاجم المماليك جيشه في عين جالوت وأبادوه (1260م)، عرف عنه وعن جيشه البطش والفتك الشديد بمن يقف في طريق إقامة دولتهم.

قصيرة جداً، حتى أن السائل تعجب أشد التعجب من سرعة بديهة الخواجة وعلميته.

نعم، بهذا الاهتمام والجد والعمل كان يعمل علماؤنا في نشر الفضائل وإثراء الحياة بها.

الصينيون وإحياء بلادهم

جاء في تاريخ الصين[53] أن بعض الصينيين كانوا كسالى جداً يقضون أكثر أوقاتهم في الاستراحة والنوم، فلو استيقظ أحدهم في العاشرة صباحاً ـ مثلاً ـ فإنه يقول: لا زال الوقت باكراً فلأعود إلى النوم، وهكذا كان أمرهم إلى أن فكروا ذات يوم ببناء وطنهم وعزموا على ذلك، وكانت النتيجة أن رفعوا مستوى بلادهم إلى مرتبة البلدان المتقدمة بسبب النشاط والعمل ليل نهار، ووصلوا إلى درجة من حب العمل والنشاط بحيث أنهم يستيقظون في وقت ما بين الطلوعين فيقولون لقد سبقنا الوقت!...

والمسلمون أيضاً باستطاعتهم أن يتداركوا تأخرهم وينفضوا عن أنفسهم غبار الكسل والتكاسل، على أن يعاهدوا أنفسهم على عدم السماح للفتور أن يتغلغل إلى أنفسهم وأعمالهم وأهدافهم، حتى يحققوا التقدم الزاهر بالعمل الجاد والنشاط المتواصل والمستمر. فقد ورد في الأحاديث الشريفة الحث الكثير على السعي الجاد والابكار في طلب قضاء الحوائج وطلب الرزق، حيث قال الإمام الصادقγ: Σإذا كانت لك حاجة فاغد فيها؛ فإن الأرزاق تقسم قبل طلوع الشمس، وإن الله تبارك وتعالى بارك لهذه الأمة في بكورها، وتصدق بشيءٍ عند البكور فإن البلاء لا يتخطى الصدقةP[54].

---

(53) جمهورية الصين الشعبية يبلغ عدد نفوسها ربع سكان العالم (1, 200.000.000) نسمة، وتبلغ مساحتها الكلية حوالي(9.571.300) كيلو متر مربع، عاصمتها بكين، يرجع تاريخ أول حكومة معروفة في الصين إلى سنة 2000 قبل الميلاد، ويسيطر الحزب الشيوعي الصيني على الصين منذ عام (1949م).

تكثر في الصين الجبال والأنجاد وتفصل بين جنوبها وشمالها سلسلة جبال شين لينغ التي تعلو أكثر من ثلاثة آلاف متر، تتصل منطقتها الشمالية بجبال التبت التي كانت موطن سلالة الدالاي لاما المنتشر أتباعها في الهند والصين. اختلف المؤرخون في تاريخ دخول الإسلام بلاد الصين حيث قيل: في سنة (31 هـ ـ 651م) قدم إلى البلاط الملكي وفد من بلاد العرب يحمل هدايا. وقال هذا الوفد أن دولته تأسست قبل إحدى وثلاثين سنة، كما هو موثق في تاريخ الصين، وقد ذكر ان عدد المسلمين بلغ عام (1974م) (130) مليونا قيل: إن ثلثهم من الشيعة. مر المسلمون في الصين في أدوار متعددة من ناحية الحرية والاضطهاد في الدين والمعتقد.

(54) مستدرك الوسائل: ج13 ص59 ب25 ح14745.

يقظة الأعداء

إن الدوائر الاستعمارية تسعى لتشويه سمعة الإسلام في العالم، وتتبع أساليب خبيثة ماكرة لتعطي انطباعاً بشعاً عنه، وترسم عنه في الأذهان صورة مخالفة لفطرة الإنسان وحريته؛ لأنهم بدون تشويه صورة الإسلام لا يتمكنون من الوصول إلى أهدافهم.

وبهذا الأسلوب المخادع استطاعوا أن يستولوا على العالم، يقول أحد القساوسة: إن مثل الدين المسيحي في مقابل الدين الإسلامي كمثل النور الضعيف جداً في مقابل النور القوي جداً، ونحن إذا أردنا أن نتغلب على المسلمين علينا أن نطفئ ذلك النور القوي الذي يحملونه كي نسلخهم عن الإسلام، ونجمعهم حول الدين المسيحي[55].

---

(55) فقد ذكر من نشاطهم في هذا الاتجاه: إن أوربا أخذت تغزو العالم الإسلامي غزوا استعمارياً عن طريق حملات التبشير، وذلك باسم العلم والخدمة الإنسانية، فرصدت لذلك الميزانيات الضخمة؛ وذلك لتمكين دوائر الاستخبارات السياسية ودوائر الاستعمار الثقافي من القيام بالدور المرسوم لها، وبهذا فتح باب العالم الإسلامي على مصراعيه، فانتشرت الجمعيات التبشيرية في كثير من البلدان الإسلامية، ومعظمها إنجليزية وفرنسية وأمريكية، فتغلغل النفوذ البريطاني والفرنسي عن طريقها، وأصبحت بمرور الزمن الموجهة للحركات القومية والمسيطرة على توجيه المتعلمين من المسلمين، وكان أثرها بليغا في العالم الإسلامي، ولعل من نتائج ذلك الغزو هو ما نعانيه اليوم من ضعف وانحطاط.

وكانوا قد أسسوا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي مراكز كبيرة للتبشير في (مالطة) وجعلوها قاعدة نشاطهم التبشيري على العالم الإسلامي، ومنها انطلقوا لبلاد الشام سنة (1625م) وحاولوا إيجاد حركات تبشيرية تساندهم في مساعيهم غير أن نشاطهم كان محدوداً لم يتعد تأسيس بعض المدارس الصغيرة ونشر بعض الكتب الدينية، وعانوا مشقات كبيرة بسبب تنبه علماء المسلمين لخطرهم فتصدى المسلمون لهم بمختلف الوسائل إلا أنهم ثبتوا حتى سنة (1773م) حيث ألغيت الجمعيات التبشيرية لليسوعيين، وأغلقت مؤسساتهم ماعدا بعض الجمعيات التبشيرية الضعيفة، ولم يعد لهم وجود إلا في مالطة حتى سنة (1820م) حيث أسس أول مركز تبشير في بيروت وبدأ نشاطهم فيها، فلاقوا صعوبات كثيرة وبالرغم من هذه الصعوبات استمروا في عملهم، وفي سنة (1824م) انتشرت البعثات التبشيرية في سائر بلاد الشام، ففتحت كلية في قرية عينطورة في لبنان، ونقلت الإرسالية الأمريكية مطبعتها من مالطة إلى بيروت لتقوم بطبع الكتب ونشرها، وقام إبراهيم باشا بتطبيق برنامج للتعليم الابتدائي في سوريا مستوحى من برنامج التعليم الموجود في مصر المأخوذ عن برنامج التعليم في فرنسا؛ وبهذه المقدمات وغيرها نشط الغرب في غزوه الفكري لبلاد الإسلام، وشاركت في الحركة التعليمية مشاركة ظاهرة، فهبت مواجهة شديدة من البغضاء بين المسلمين والنصارى أدت إلى مذابح كثيرة وتخريب وتدمير الممتلكات العامة، وأدى هذا الأمر إلى تدخل الدول الغربية بحجة إخماد الفتنة.

ولم يقتصر أمر الاهتمام بالغزو التبشري باسم الدين والعلم على أمريكا وفرنسا وبريطانيا، بل شمل روسيا القيصرية فأرسلت البعثات التبشيرية، وبالرغم من تباين وجهات النظر السياسية بين البعثات التبشيرية بالنسبة لمنهجها السياسي باعتبار مصالحهم الدولية فقد كانت متفقة في الغاية، وهي: بعث الثقافة الغربية إلى الشرق، وتشكيك المسلمين في دينهم، وحملهم على الابتعاد عنه، وعلى احتقار تاريخهم، وتمجيد الغرب وحضارته، كل ذلك مع بغض شديد للإسلام والمسلمين

نعم، هذا ما أراده الأعداء منا حتى يتمكنوا من السيطرة علينا وتطويقنا، فنصبح بأيديهم أسراء، وأن طريق الخلاص من هذا الوضع السيئ هو النشاط والعمل الجاد والتواصل، بعد تشكيل الاجتماعات المكثفة والمؤتمرات الكبيرة لدراسة طرق العلاج وللتفكير والتخطيط في كيفية السعي نحو تقدم المجتمع الإسلامي من الناحية الفكرية والعلمية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية؛ لتحصين مجتمعنا أمام الغرب أولاً، ثم نعمل على نشر الإسلام في العالم.. وقد أكد أمير المؤمنينγ في حديث شريف على لزوم اليقظة والتفكير في عواقب الأمور حيث قالγ: Σإذا قدمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كل أمرP[56].

سياسة أعداء الإسلام

يطمح المستعمرون ويصرون على الوصول إلى أهدافهم مهما كلف الأمر؛ لذلك قاموا ويقومون برفع الموانع التي تعترضهم في هذا السبيل، بدءً بقتل واغتيال العلماء الكبار الذين

واحتقارهم واعتبارهم برابرة متأخرين، يقول الفرنسي الكونت هنري ديكاستري في كتابه (الإسلام) سنة (1896م) ما لفظه:

لست أدري مالذي يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتي في أغاني المغنيين المسيحيين، فجميع أغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر ميلادي صادرة عن فكر واحد كان السبب في الحروب الصليبية، وكلها محشوة بالحقد على المسلمين؛ للجهل الكلي بديانتهم، وقد نتج عن تلك الأناشيد بتثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين ورسوخ تلك الأغلاط في الأذهان ولا يزال بعضها راسخا إلى هذا اليوم.

فنتج عن هذه الغزوات التبشيرية تمهيد الطريق للاستعمار الأوروبي ليستولي على العالم الإسلامي سياسياً بعد أن تمكنت منه ثقافياً؛ فالاستعمار كان في مدارس المسلمين قبل استعمار الأرض عبر الاحتلال العسكري وبعده، حيث كان قد وضع بنفسه مناهج التعليم والثقافة، على أساس فلسفته وحضارته، ثم جعل الشخصية الغربية الأساس الذي تنتزع منه الثقافة، كما جعل تاريخه ونهضته وبيئته المصدر الأصلي لما يحشو به عقول المسلمين السذج منهم خاصة، فالدين الإسلامي يعلم في المدارس الإسلامية كمادة روحية أخلاقية فقط، وليس منهج ودستور متكامل للحياة في كافة مجالاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وهذا ترسيخ لمفهوم الغرب عن الدين الذي فصلوه عن الدولة. فحياة الرسول الأعظمα تدرس لأبنائنا منقطعة الصلة عن النبوة والرسالة وتدرس كما تدرس حياة بسمارك ونابليون . مثلاً .. وتألفت في بيروت سنة (1870م) جمعية سرية، وأخذت هذه الجمعية تركز نفسها على فكرة سياسية، فأخذت تبعث فكرة القومية العربية، والذين قاموا بتأسيسها هم خمسة شبان من الذين تلقوا العلم في الكلية البروتستانتية في بيروت، وبعد مدة استطاعوا أن يضموا إليهم عدداً قليلاً، وبدأت تدعو هذه الجمعية عن طريق المنشورات وغيرها إلى استقلال العرب السياسي، وخاصة في سوريا ولبنان وإلى القومية العربية، والى إثارة العداء للدولة العثمانية وتسميها (التركية) وتعمل على فصل الدين عن الدولة، وجعل القومية العربية هي الأساس، والذي يتتبع تاريخ هذه الحركات يجد أن الغربيين هم أنشؤوها وأنهم كانوا يراقبونها ويشرفون عليها، للتفصيل راجع كتاب عوامل ضعف المسلمين: ص29ـ 50 .

(56) غرر الحكم ودرر الكلم: ص58 ق1 ب1 ف5 ح597.

يشكلون مانعاً كبيراً يعترض سبيلهم؛ حيث إنهم يقومون بفضح السياسة الاستعمارية أينما حلوا، ويبطلون خططهم الخبيثة وسياستهم الآثمة المبنية على استغلال الشعوب المستضعفة والمسلمين العزل مستخدمين طريقتين للاغتيال هما:

أولاً: التصفية الجسدية ومثالها اغتيال المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازيϖ[57] بالسم بهدف الالتفاف على نتائج ثورة العشرين[58]، وكذلك ما جرى بعد ذلك من عمليات قتل واغتيال صريحة للعلماء في السجون أو في الشوارع والأزقة.

ثانياً: اغتيال الشخصية وتسقيط السمعة بالدعايات والتهم وأمثال ذلك، وفي كل ذلك تتم الاستفادة من وجوه غير معروفة أو حكومات دموية كحكومة البعثيين في العراق[59]

---

(57) هو الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية ثورة العشرين، ولد بشيراز عام (1256هـ) ونشأ في الحائر الشريف، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل تعين للخلافة بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى الخطيرة التي أقامت العراق وأقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس. فهوε فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده وكان أفتى من قبل بحرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرون إلا عن رأيه وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء المقدسة. توفيε في الثالث عشر من ذي الحجة عام (1338هـ) مسموماً ودفن في الصحن الحسيني الشريف ومقبرته فيه مشهورة. راجع طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر: ج1 ص261 الرقم 561.

(58) ثورة العشرين: هي ثورة عارمة ضد الاستعمار الإنجليزي في العراق عام (1338هـ.1920م)، قادها الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازيϖ وذلك حين أصدر فتواه الشهيرة ضد التواجد الإنجليزي في العراق مما اضطروا للخروج من العراق بعد الخيبة والانكسار، انظر الحقائق الناصعة، لمزهر آل فرعون.

(59) الحزب الحاكم في العراق منذ (17/ تموز/ 1968م) هو حزب البعث. الحزب الوحيد الحاكم. وهو حزب قومي علماني يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم الإسلامية والعربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة). وأهدافه: (الوحدة، والحرية، والاشتراكية)!!

في سنة (1932م) عاد من باريس قادماً إلى دمشق كل من ميشيل عفلق وهو نصراني ينتمي إلى الكنيسة الشرقية، وصلاح الدين البيطار، وذلك بعد الدراسة العالية في فرنسا على يد كبار المستشرقين، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين لويس ماسنيون الذي قال عن عفلق مؤسس حزب البعث: هو أخلص تلميذ تتلمذ على يدي. فعادا. عفلق والبيطار. محملين بأفكار قومية وثقافة غربية، فعملا في مجال التدريس، ومن خلاله أخذا ينشران أفكارهما بين الزملاء والطلاب والشباب. وأصدر تجمع أنشأه عفلق والبيطار مجلة الطليعة بالاشتراك مع الماركسيين سنة (1934م) وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم (جماعة الإحياء العربي).

وفي نيسان (1947م) تم تأسيس حزب تحت اسم (حزب البعث العربي)، وكان من المؤسسين: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد، زكي الأرسوزي، كما أصدروا مجلة باسم البعث.

وفي سنة (1953م) اندمج كل من حزب (البعث العربي) وحزب (العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسمياه (حزب البعث العربي الاشتراكي).

استولى أحد أجنحة الحزب المنشقة على السلطة في العراق بعد أحداث دامية سارت على النحو التالي:

في (14 تموز 1958م) حدث انقلاب على النظام الملكي بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، فقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الإله ومن عثر عليه من أفراد العائلة المالكة، ونوري السعيد وأعوانه، فاسقط النظام الملكي، وبذلك انتهت الملكية في العراق، ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية.

وبعد عشرة أيام من نشوب الثورة وصل ميشيل عفلق إلى بغداد وحاول إقناع أركان النظام الجديد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر) ولكن الحزب الشيوعي العراقي أحبط مساعيه، ونادى بعبد الكريم قاسم زعيما أوحد للعراق. وفي (8 من شباط 1963م) قام حزب البعث بانقلاب على نظام عبد الكريم قاسم، وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرسا وأحداثاً دموية رهيبة في بغداد وأغلب مدن العراق، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت أول حكومة بعثية، وسرعان ما نشب خلاف بين الجناح المعتدل والجناح المتطرف من حزب البعث في العراق، فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في (18 تشرين الثاني 1963م) وعين عبد السلام عارف أحمد حسن البكر أحد الضباط البعثيين نائباً لرئيس الجمهورية. وأوصى ميشيل عفلق بتعيين صدام التكريتي عضوا في القيادة القطرية لفرع حزب البعث العراقي. وبعد مقتل عبد السلام عارف في حادث الطائرة المدبر في عام (1966م) استلم أخوه عبد الرحمن عارف رئاسة العراق الذي اتّسم حكمه بالتدهور الاقتصادي والمعاشي وبالتمييز الطائفي والعنصرية والقبلية، وكان يتأثر بالمحيطين به ويثق بهم، ويتبنى عادة رأي آخر من يقابله.

نحي عن السلطة بعدما أوعزت المخابرات الأمريكية والبريطانية إلى عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداود وأحمد حسن البكر بتغيير السلطة في العراق، حيث نفي إلى تركيا.

ففي (17/ تموز/ 1968م) قام حزب البعث العراقي بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب أسقط نظام عبد الرحمن عارف، وفي اليوم الثلاثين من الشهر نفسه طرد حزب البعث كافة من تعاونوا معه في انقلابه، وعين أحمد حسن البكر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للجمهورية وقائدا عاما للجيش، وأصبح صدام التكريتي نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، ومسؤولاً عن الأمن الداخلي.

وتمت تصفيات عديدة في صفوف قادة الحزب كان مدبرها ومخططها صدام التكريتي، ففي سنة (1970م) تم اغتيال الفريق حردان التكريتي في الكويت، الذي كان من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي وعضواً في مجلس قيادة الثورة، ونائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع. وفي عام (1971م) تم اغتيال فؤاد الركابي، وكان المنظر الأول للحزب، وأحد أبرز قادته في العراق وقد تم اغتياله داخل السجن. وفي عام (1973م) جرى إعدام ناظم كزار رئيس جهاز الأمن الداخلي وخمسة وثلاثين شخصا من أنصاره، وذلك في أعقاب فشل انقلاب قاموا به. وفي عام (1975م) وقعت الحكومة العراقية مع شاه إيران الاتفاقية المعروفة باتفاقية الجزائر. وفي عام (1979م) أصبح صدام التكريتي رئيسا للجمهورية العراقية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه وفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله، وقيل: إن صدام أمر بقتله بواسطة الدكتور صادق علوش بحقنة ترفع نسبة السكر لديه وذلك عام (1982م). وفي العام نفسه ـ 1979م ـ قام صدام بحملة إعدامات واسعة طالت أكثر من ثلث أعضاء مجلس قيادة الثورة وأكثر من خمسمائة عضو من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي. وقد بلغ عدد من أعدمهم صدام خلال أقل من شهر واحد ستة وخمسين شخصاً من كبار أعضاء حزبه، ولم يبق على قيد الحياة من الذين شاركوا في انقلاب عام (1968م) سوى عزت الدوري وطه الجزراوي وطارق حنا ـ أو يوحنا ـ عزيز.

وفي يوم (22/ أيلول/ 1980م) شن صدام حربه على إيران بعد إلغائه اتفاقية الجزائر ـ التي وقعها مع الشاه ـ التي أسفرت عن سقوط ما يزيد على النصف مليون من شباب العراق وأكثر من سبعمائة ألف من المعاقين والمشوهين، هذا غير جيش

الأرامل والأيتام والمعاقين الذين خلفتهم الحرب، وغير من أعدموا بسبب رفضهم المشاركة بهذه الحرب الغبية .كما سماها أحد المحللين السياسيين . إضافة إلى نفقات الحرب التي تجاوزت مائتي ألف مليون من الدولارات، وكذلك تجميد كل تنمية طوال مدة زمنية تجاوزت الثماني سنوات، بعد ذلك خرج صدام بعد كل هذه التضحيات ليعلن للعالم أن حربه مع إيران كانت خطأ، وأن الحق هو العودة إلى الاتفاقية المبرمة بينهما . اتفاقية الجزائر ..

وفي أثناء حربه مع إيران أنزل بالمواطنين الأكراد أبشع أنواع القتل والبطش والتنكيل والإبادة باستخدام الغازات السامة والكيماوية وقنابل النابالم الحارقة بصورة همجية لم تعرف حرمة لشرع ولا لدين ولا لمروءة ولا لشرف.

وقد ذاق الشعب العراقي الأمرّين على يد هذا النظام وجلاوزته عقب الهزيمة المنكرة في حرب الخليج الثاني، عندما قام النظام باجتياح دولة الكويت واستباح أرضها وطرد شعبها وخرب منشآتها ونهب متاجرها وقتل أبناءها وفجّر آبار النفط فيها، فقادت الولايات المتحدة تحالفاً أخرج الجيش العراقي وتم طرده من الكويت، الأمر الذي أنزل به هزيمة كاسحة راح ضحيتها مئات الآلاف من جنود الجيش العراقي، وجعله يستسلم في ذلة وخنوع ويوافق على كل شروط قوات الحلفاء، بعد أن دكت طائرات التحالف كافة المنشآت والمرافق في العراق، وتركتها خرابا، في معركة غير متكافئة أطلق عليها أسم (عاصفة الصحراء)، ورجعت الحكومة الكويتية من منفاها ومارست سلطاتها. وثار الشعب العراقي في انتفاضة كبيرة عرفت بالانتفاضة الشعبانية، حيث حررت خمس عشرة محافظة من محافظات العراق الثمانية عشر، وبعد مساندة من أسياده المستعمرين ومؤامرات بعض دول الجوار وانقطاع الإمدادات عن الثوار بدأت الكفة تميل لصالح قوات النظام فقام بالبطش الشديد بالشعب المغلوب على أمره، وأمر هذا الطاغية جنده أن يدكوا بمدافعهم مدنا بأكملها على رؤوس من فيها من النساء والأطفال والشيوخ والرجال، وانتهكوا حرمة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف.

فقام هذا الطاغية بقمع الانتفاضة الشعبانية، ونكّل بالثوار أشد تنكيل، فقد قدرت أعداد الضحايا بما يزيد على خمسمائة ألف قتيل وقيل مليون بالإضافة إلى الآف المفقودين والمحتجزين في السجون لا يعرف لهم خبر.

هذا بعض ما جناه العراق من الطغاة الذين تسلطوا على رقاب شعبه وتمكنوا من التصرف بثرواته وخيراته.

أما عن سلوكيات ومبادئ حزب البعث في العراق، فقد نادى مؤسس الحزب بضرورة الأخذ بنظام الحزب الواحد؛ لأنه وكما يقول . عفلق .: إن القدر هو الذي حملنا هذه الرسالة، وخولنا أيضا حق الأمر والكلام بقوة والعمل بقسوة لفرض تعليمات الحزب.

ومن ثم لا يوجد أي مواطن عراقي يتمتع بأبسط قدر من الحرية الشخصية أو السياسية في قبال ذلك؛ فكل شيء في دولة العراق يخضع لرقابة بوليسية صارمة، وتشكل دوائر المباحث والمخابرات والأمن قنوات الاتصالات الوحيدة بين المواطنين والنظام.

وتركز سياسة الحزب على قطع كافة الروابط بين العروبة والإسلام، وتنادي بفصل الدين عن السياسة، والمساواة بين شريعة حمورابي وشعر الجاهلية وبين الدين الإسلامي.

وادعت سياسة الحزب أن تحقيق الاشتراكية شرط أساسي لبقاء الأمة العربية ولإمكان تقدمها، مع أن النتيجة الحتمية للسياسة الاشتراكية التي طبقت في العراق لم تجلب الرخاء للشعب، ولم ترفع مستوى الفقراء، ولكنها ساوت الجميع في الفقر، وبعد أن كان العراق قمة في الثراء ووفرة الموارد والثروات، أصبح . بطيش الحزب الحاكم . عاجزاً عن توفير القوت الأساسي لشعبه، كما قام بتجريد الدستور العراقي من كل القوانين التي لها صلة بالإسلام، فأصبحت العلمانية هي دستور العراق، ومعتقدات صدام وحزبه ومبادؤه هي مصدر التشريع لقوانينه.

لقد ورد في التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع المنعقد ببغداد عام (1982م) ما يلي: وأما الظاهرة الدينية في العصر الراهن فإنها ظاهرة متخلفة في النظرة والممارسة.

ولذلك فقد اتجه صدام التكريتي وحزبه إلى إعلان الحرب على الإسلام والعاملين له في كافة المجالات، ولسان حاله: وكنت امرءً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي.

فقام بقتل العلماء ومهاجمة الحوزات العلمية، وأصدر أوامره بإغلاق مئات المساجد والحسينيات والمراكز الإسلامية في العراق؛ لمجرد أن الشباب المسلم يلتقي فيها، وقام بإلقاء القبض على من يتردد إليها، وتتابعت القرارات بإعدام الآلاف من الشخصيات الإسلامية.

وأحال الكثيرين من أساتذة الجامعات إلى التقاعد، ثم قدمهم إلى المحاكمة، وصدرت بحقهم أحكام مختلفة بسجنهم لفترات طويلة.

كما قام بالجرائم التالية: محاربة ارتداء الحجاب الإسلامي بين الفتيات المسلمات، وتشجيع العلاقات غير الشرعية بين الفتيان والفتيات، وفتح النوادي الليلية وتشجيع الفساد في كافة المجالات. وكان هذا النظام من آخر الدول التي قبلت الانضمام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بعدما شعر بعزله إسلامياً، ولم يلتزم بقرارات المؤتمر عملياً، كما دأب على دعم النظم العلمانية ضد كل من يرفع شعار الإسلام سواء في لبنان أو كشمير أو فلسطين أو قبرص أو أفغانستان، وهكذا في كل قضية إسلامية أخذ موقعه إلى جانب القوى المعادية للإسلام.

وقد جلب من وسائل التعذيب في سجون ومعتقلات بلاده ما تقشعر لهوله الأبدان، وعرف عن جلاوزته أنهم يلجئون إلى أبشع وسائل التعذيب شناعة وقساوة في سبيل انتزاع الاعترافات من المساجين أو ثنيهم عن معتقداتهم، حتى فاق كل طغاة التأريخ في الإرهاب.

وقد اتضحت سياسة طغاة العراق وكذبهم في المناداة بالوحدة وانكشفت أطماعهم في السعي للهيمنة على العالم العربي عن طريق الضم بالقوة، حيث بدأ بمنطقة الخليج، وتسببت في انهيار وعجز الأمة العربية بمختلف مؤسساتها ومنظماتها عن ردع العدوان الإسرائيلي.

وفضحت أطماع وتوجهات هذا الحزب لاحتلال السعودية والكويت ودول الخليج العربي، بعدما وجهوا صواريخهم لضرب المدن في الجزيرة العربية، وقاموا بنسف آبار النفط في الكويت وإضرام النار فيها. وغير ذلك من الويلات والمآسي التي جرت على الشعب العراقي الذي ابتلى بهذا النظام.

لا شك أنه بشخص صدام التكريتي ونظامه قد انكشف زيف وكذب ادعاءات وشعارات الحزب الحاكم في العراق وأصبح مرفوضا على المستوى المحلي والعربي والإسلامي، بسبب أسلوبه الهمجي في التعامل مع جيرانه وأشقائه ومواطنيه، كما أصبح صدام ممقوتا من حيث جبلته الشريرة وغريزته العدوانية المسعورة، وجنون العظمة المسيطر على تصرفاته، ولجوئه إلى المخادعة بعد أن انكشفت نواياه الخبيثة في التعامل مع شعبه وفي حربه مع إيران، ثم في انقلابه على الكويت الداعمة له في حربه السابقة.

ومن الملاحظ أن كلمة الدين لم ترد مطلقا في صلب الدستور العراقي. وان كلمة الإيمان بالله على عموميتها لم ترد في صلب الدستور، لا في تفصيلاته، ولا في عمومياته، مما يؤكد على الاتجاه ضد الديني في الحزب الحاكم في العراق، حتى في بناء الأسرة لا يشيرون إلى تحريم الزنى ولا يشيرون إلى آثاره السلبية. أما في السياسة الخارجية لا يشيرون إلى أية صلة مع العالم الإسلامي. ولا يشيرون إلى التاريخ الإسلامي الذي أكسب الأمة العربية مكانة وقدرا بين الشعوب. ورغم تظاهر الحزب بالمطالبة بإتاحة أكبر قدر من الحرية للمواطنين فإن ممارساته القمعية فاقت كل تصور وانتهكت كل الحرمات ووأدت كل الحريات وألجأت الكثيرين إلى الهجرة والفرار بعقيدتهم من الظلم والاضطهاد.

والنظام الحاكم في العراق يتطلع إلى استلام السلطة في جميع أرجاء الوطن العربي؛ باعتبار ذلك جزءا لا يتجزأ من طموحاته البعيدة، وقد أدت بهم هذه الرغبة العارمة إلى السقوط في حمأة الإنذار المقنع والتهديد السافر والعدوان الصريح، وربما يكون حزب صدام وزمرته أسوأ ما شهده التاريخ في هذا البلد. فراح يجمع السلاح ويهدد جيرانه ولا يتجاوب حتى مع الذين أوصلوه إلى منصبه الذي هو فيه من الصهاينة والأمريكان، فقامت الولايات المتحدة الأمريكية بتشكيل تحالفها الدولي، وطلبت من حكومة طاغية بغداد بالكشف عن ما يمتلكه العراق من أسلحة الدمار الشامل، إلا إن صدام أمتنع

وأمثالهم، حتى إذا انكشف الأمر تبرؤوا منه فوراً ونسبوه إلى الحكومة، أو بعض الناس؛ لكي لا تتلوث سمعتهم إذ أنهم أغلب الأحيان لايتضررون ولا يحدث لهم شيء يسيء إلى سمعتهم مع كونهم السبب الأول في قتل العلماء واغتيال الشخصيات، وبالتالي يبقى القاتل مجهولاً ويضيع الأمر في أكثر الحالات.

إن أعداء الإسلام والتشيع في تربص وتخطيط دائم لاغتنام أية فرصة لضرب الإسلام والتشيع وضرب كل مسلم وشيعي على وجه البسيطة بلا سبب أو ذنب.

ولذلك علينا جميعاً بالخصوص العلماء والخطباء والمثقفين وأصحاب الأقلام، الدفاع عن الإسلام والتشيع بكل ما نؤتى من قوة، والتخطيط والتفكير لعبور الأزمات، وذلك عبر تأليف الكتب والمنشورات التوعوية التي توقظ المسلمين وتنبههم إلى مكائد الأعداء وإحباطها قبل وقوعها،خصوصاً وإننا نعلم أنهم مستمرين على نصب الشراك وإعداد الخطط، فيلزم نشر الأفكار الإسلامية التي كانت تحكم المجتمع الإسلامي في الصدر الأول، والسعي لترسيخ مبدأ الشورى في كل مرافئ الحياة الخطيرة منها والبسيطة، وتعدد الأحزاب الحرة، وتعدد القدرات والتوازن بينهما، لنوفر فينا القوة والحصانة مقابل هجمات الأعداء فتعم حياة المسلمين الإيمان والأمن والسلام بإذن الله.

الغرب والبعث

إن أعداء الإسلام لا يوقّفون دعمهم ولا يتبرؤن من أعوانهم الذين سلطوهم على بلادنا

عن ذلك فقررت الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا غزو العراق تحت غطاء مطاردة الإرهاب والبحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية اعتماداً على قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (1441) الذي ينص ضمنيا على إمكانية تجريد العراق من أسلحة الدمار الشامل بالقوة العسكرية في حال عدم تعاونه مع هيئات التفتيش التابعة للأمم المتحدة، فقامت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومن تحالف معهم بشن الحرب على العراق عبر حملة عسكرية عرفت بعملية تحرير العراق، حيث أدى ذلك إلى انهيار نظام العفالقة ببغداد بعدما جر على العراق ماجر من الويلات والمآسي والفجائع التي كانت معروفة والتي لم تكن معروفة للشعب ولكن كشفت عنها بعد انهيار النظام، حيث ظهرت المئات بل الآلاف من المقابر الجماعية التي تضم مئات الآلاف من الشعب العراقي، وسيظل يندى جبين الانسانية لهذه الفجائع التي ارتكبت بحق هذا الشعب المظلوم، وكان يوم (2003/4/9م) يوم انهيار النظام الذي عرف بيوم سقوط التمثال، يوما مشهودا بكل تفاصيله ولاينسى من ذاكرة الملايين من المظلومين من أبناء العراق. وهكذا طويت صفحة سوداء من تاريخ العراق والعراقيين، حيث كان هذا الشعب المظلوم يجاهد نظام العفالقة الظالم وهو يحمل عقيدة الثبات على نهج الدين الحنيف والمبدأ الحق مبدأ ومنهج الرسول الأعظم وأهل بيته الأطهارβ وهو الذي يحفظ الإسلام والمسلمين من جور الجائرين، والمحرفين لأحكام الدين القويم..

المسلمة؛ وذلك لتحطيم الإسلام، وقد روجوا لأفكار باطلة ونشروا مبادئ ومناهج لا تمت إلى الإسلام بصلة بل وتحارب الإسلام صراحة، وكان من هذه المبادئ إنهم روجوا للحزب الشيوعي[60] وحزب البعث وما أشبه. وأبتلي العراق بهذه الحركات أشد ابتلاء وخاصة من

(60) الشيوعية: مذهب سياسي يهدف إلى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة. وتعد ـ الشيوعية ـ من أشد المذاهب الاشتراكية تطرفاً، وتتميز بأنها حركة ثورية ترى أن تحقق إنشاء مجتمع يتساوى أفراده في الحقوق لا يكون إلا باستعمال القوة المسلحة؛ فهي لذلك تحارب الديمقراطيات وخاصة التي تشجع الرأسمالية.

يرجع ظهور الحركة الشيوعية في روسيا إلى عام (1903م) عندما انشق أتباع كارل ماركس إلى معسكرين: إصلاحي وراديكالي بزعامة لينين. فلما حاز هذا الأخير الأغلبية عرف بحزب الأغلبية التي يعبر عنها في الروسية بكلمة: بولشفيك، ومن هذا قامت العلاقة اللفظية بين البولشفية والشيوعية التي هي مذهب سياسي.

تميزت سياسة لينين (ومن بعده تروتسكي) بمحاولة نشر المبادئ الشيوعية في العالم باستخدام القوة، وذلك بتشجيع الثورة بين الطبقات العاملة في المجتمعات الرأسمالية ـ كما وضحه ماركس في الإعلان الشيوعي ـ لهذا تناهض الشيوعية القوميات والديانات، وتطلب من الشيوعي الولاء التام لعقيدته ولزعمائه.

كما أصبحت سياسة الدول الرأسمالية ـ لاسيما الولايات المتحدة ـ تهدف إلى حصر الشيوعية، والعمل على وقف تسللها وغل يديها عن اكتساب مناطق نفوذ جديدة، فأقامت الأحلاف والقواعد العسكرية على حدود الدول الشيوعية، كما منحت الدول التي يخشى وقوعها في نطاق نفوذ الشيوعية قروضاً وإعانات لرفع مستواها الاجتماعي أو لتقوية دفاعاتها، وقد كانت الحرب الكورية والفيتنامية أمثلة لهذا الصراع العقائدي بين الرأسمالية والشيوعية.

تعرف الدول الشيوعية بدول الاشتراكية، في حين أطلق الغرب عليها اسم دول الستار الحديدي أو الدول البلشفية أو الدول الحمراء، ومع أن اتحاد الجمهوريات السوفيتية يعتبر قاعدة العالم الشيوعي إلا أن المبادئ الشيوعية كما صورها ماركس لم توضع موضع التطبيق الكامل فيها، بل أن الساسة السوفييت بعد وفاة لينين ـ وفي مقدمتهم ستالين ـ لم يروا ضيراً في الانحراف عن المبادئ الماركسية بعض الشيء، وانتهاج سياسة مرنة في معالجة التطبيقات الاقتصادية كحقوق الملكية الخاصة، ومن ثم بدأ الانشقاق العقائدي في المعسكر الشيوعي فاعتبرت الصين الشعبية (ومعها ألبانيا) أن الاتحاد السوفيتي قد تنكر للمبادئ الماركسية الأصيلة، كما سبق أن كان الانشقاق في المعسكر الشرقي بسبب الخلاف حول مدى تبعية الدول الاشتراكية لموسكو، وعلى هذا الأساس نشبت الحرب الباردة في داخل المعسكر الشيوعي بين الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا. انظر القاموس السياسي: ص704 ΣشيوعيةP.

ووصلت الشيوعية إلى الكثير من البلاد الإسلامية ومنها العراق، حيث تغلغلت الأفكار الشيوعية بين أوساط البسطاء من الجماهير في العراق عبر عملاء الاستعمار، الذين طبّلوا وزمروا كثيراً لتلك الأفكار المزيفة والشعارات الفارغة، فأخذ كثير من السذج والبسطاء من الناس يطالبون بتحقيق العدالة الاجتماعية وفق مبدأ الشيوعية، وعلى اثر ذلك شعر الإمام الشيرازي الراحلϖ ـ الذي كان عمره الشريف لم يتجاوز الثلاثين بعد ـ والكثير من العلماء بمسؤولياتهم تجاه تلك الأفكار الفاسدة والآراء المنحرفة، فتصدوا لها عبر وسائل عديدة، موضحين أن الإسلام وحده هو القادر على تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد ذكر الإمام الراحل بعض تلك الأساليب التي اتبعها في مواجهة الشيوعية، وذلك في كتاب (تلك الأيام)، فوصف بعض ما مر على المجتمع نتيجة ظهور تلك الأفكار فقال:

عندما قام قاسم بالانقلاب العسكري وأسقط الملكية سمح للحزب الشيوعي بالعمل والتحرك بحرية، فانتشر الشيوعيون في كل مكان وملئوا البلاد ضجيجاً وصراخاً، وأخرجوا النساء من بيوتهن وطالبوهن بالتظاهر أمام الرجال، وكانوا يعتدون عليهن في العلن، أضف إلى ذلك أنّهم كانوا يرمون الأفاعي والعقارب الحية على المخالفين لهم، وكانوا يقطّعون أجسام المعارضين في الشوارع قطعة قطعة، ويحرقون المعارض لهم وهو حي بعد أن يسكبوا عليه النفط أو البنزين، أو يعلّقوا المعارض لهم حيّاً كان أو ميّتاً

على قنارة القصابين ثم يقطعوه بالساطور أو بعض أجزائه، وكذا يمدّون الضحية على الأرض بعد أن يربطوه بالحبال ثم يُداس بالسيارة الثقيلة المعدّة لتسوية الأرض والتي تسمّى بالرولة (المحدلة).

ومن أساليبهم أنّهم كانوا يضعون سيارتين في جهتين متخالفتين، ويربطون قدمي المعارض لهم أو الذي يشكّون أنه معارض إلى السيارتين، إحدى القدمين إلى هذه السيارة والأخرى إلى السيارة الثانية، ثم تتحرك السيارتان في الاتجاهين المختلفين، فينشق الضحية وهو حيّ إلى نصفين. . إلى أن قال . ويفعلون المنكرات، وكان يحدث ذلك في بلد المقدسات، بلد الإمام الحسينγ في كربلاء المقدسة.

عندما حدثت تلك الفجائع في مدينة كربلاء المقدسة على يد الشيوعيين، قررنا تشكيل وفد لزيارة العلماء في مدينة النجف الأشرف، لأجل التنسيق مع علمائها الأعلام للوقوف حيال الهجمة الشيوعية الشرسة التي تجتاح البلاد، وكان يرافقني السيد محمد صادق القزويني والشيخ جعفر الرشتي والسيد مرتضى القزويني وعلماء آخرون في حدود العشرين شخصاً. وأول من التقينا به الشيخ محمد رضا المظفر ϖ وكان إنساناً معطاء، طيّب النفس، جليل القدر، يحب خدمة الآخرين، وهو الذي أسس Σكلية الفقهP التي لازالت قائمة، وكان من رأي الشيخ المظفر أن ندعو الآخرين إلى مجلس موسَّع، فأبدينا موافقتنا لاقتراحه.

وأسرع العلامة المظفر في تهيئة مكان الاجتماع الذي حضره علماء النجف من المرتبة الثانية والثالثة وكانوا قرابة الأربعين عالماً وفقيهاً بما فيهم من السادة آل بحر العلوم والسادة آل الصدر وآل راضي ومن أشبههم.

وجرى حوار طويل في ذلك الاجتماع، حول ضرورة التصدي للهجمة الشيوعية، وإن السكوت عنهم سيترك آثاراً وخيمةً؛ لأن الشيوعيين قائلون باللاءات الخمسة . لا للدين، لا للفضيلة، لا للملكية الفردية، لا للعائلة، لا للحرية . وإذا لم نقف قبالهم فإنهم سيفعلون ما فعلوا في موسكو؛ لأن شيوعية العراق فرع للشيوعية الأمميّة التي تنتمي إلى موسكو.

والشيوعيون في العراق لم يكن بيدهم زمام الأمور، وإنما كانوا ألعوبة تحرّكهم أصابع السفارة البريطانية في بغداد، وهذا ما أكده السفير البريطاني بعد فترة من انتهاء عهد عبد الكريم قاسم، حيث كتب السفير في صحيفة الحياة اللبنانية مقالاً جاء فيه:

إننا سمحنا لخروج الشيوعيين إلى الساحة، أما الحكم في الأصل كان بأيدينا. وهو العمل نفسه الذي يقوم به الإنجليز في بعض البلدان الإسلامية الأخرى، فالذي حدث في أفغانستان كان على غرار ما حدث في العراق. وكان المطلوب من الشيوعيين أن يجنّدوا جميع طاقاتهم للعبث بمقدرات العراق.

وكانت العشائر العراقية وقتها ذات قوة لا يستهان بها، والحوزة العلمية وعلماؤها ومفكّروها أقوياء ولهم نفوذ على العشائر، والمثقفون الإسلاميون أقوياء كذلك، وأثمرت تلك الاجتماعات التي عقدت في النجف الأشرف، فتمخضّت في النهاية عن تشكيل Σجماعة العلماءP وكانوا جميعاً من علماء المرتبة الثانية والثالثة، وسارع علماء الدرجة الأولى إلى تأييدهم، أمثال: والدي ϖ والسيد محسن الحكيم ϖ وبقية المراجع العظام. بدأت هذه الجماعة في نشاطها المعادي للشيوعية بإصدار المنشورات اليومية ونشرت عدة بيانات في عدة صحف.

وفي المقابل أبدت الحكومة ردود فعل سريعة، فأسس عبد الكريم قاسم جماعة العلماء الأحرار، برئاسة الشيخ عبد الكريم الماشطة الذي كان على علاقة وطيدة مع الشيوعيين، وقد جمع حوله لفيفاً من أصحاب المظاهر لا المبادئ الذين ينقصهم العلم والتقوى.

وقد استطاع أن يجمعهم بالمال ويشتري مواقفهم بالإغراءات، وكانت هذه الجماعة تؤيد مواقف الحكومة الشيوعية، وقد وضعت الدولة إمكانياتها الإعلامية من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون في خدمة هذه الجماعة، التي لم تكن تمتلك أي رصيد جماهيري، إذ لم يكن بمقدورهم إقامة مجالس شعبية كبيرة، حيث ليس هناك من هو على استعداد للمشاركة في نشاطاتهم، واستمر هذا الحال على هذا المنوال حتى مقتل عبد الكريم قاسم، فاختفت هذه الجماعة من الوجود وهرب

بعض أفرادها وانزوى الباقي. واستمرت اتصالاتنا بالمراجع العظام، وكنّا نزورهم ونزوّدهم بأخبارنا ونشاطاتنا، ونستمدّ منهم العون، لوقف المدّ الشيوعي.

وفي إحدى السفرات كانت لنا زيارة إلى المراجع كالسيد محسن الحكيم والسيد الحمامي والميرزا عبد الهادي الشيرازي (قدّست أسرارهم) وآخرين، وكان هؤلاء المراجع العظام متفاوتين في التحمّس ضدّ الشيوعيين، بين مهتم بحماسة وغير مهتم، وكان البعض يقول: إن الشيوعيين هم صنيعة الغرب وإنهم سيضمحلون بسرعة. وكان رأينا أنّ علينا أن نقوم بواجبنا الشرعي، ومسؤليتنا الدينية في التصدّي للمنكر مهما كانت أسبابه ودوافعه.

وكان لنا لقاء مع وزير الاقتصاد في حكومة عبد الكريم قاسم، وقد تمّ في مقبرة والدي في حرم الإمام الحسينγ، حيث كان مكان تدريسي ولقاءاتي، وقد حضر هذا اللقاء لفيف من الأصدقاء، وقد دونت مقتطفات من هذا الحوار في منشور، قد وزّع في حينه على المعنيين. وقد ناقشت الوزير حول موضوع الاقتصاد الإسلامي، وقلت له: لماذا لا تقدمون على تطبيق الاقتصاد الإسلامي؟

فقال لي: وقد بدت عليه آثار التعجب، ما هو الاقتصاد الإسلامي؟

قلت: الاقتصاد الإسلامي: اقتصاد مستقل، ليس اقتصاداً شيوعياً ولا اقتصاداً رأسمالياً ولا اقتصاداً اشتراكياً، بل له خصائص وميزات معينة تفرزه عن المذاهب الاقتصادية الأخرى، وقد كتب فقهاؤنا معالم هذا الاقتصاد في كتبهم.

قاطعني وفي حالة استغراب قال: مثلاً!

قلت: يقول الله سبحانه في محكم كتابه: Πفَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَO (سورة البقرة: 279)، ثم أردفت قائلاً: انظر إلى إحدى كتبنا الفقهية، فقد ضم هذا الكتاب أكثر من خمسين موضوعاً اقتصادياً.

ازداد تعجبه وقال في حالة دهشة: خمسين موضوعاً؟

قلت: نعم، كتاب (جواهر الكلام) الذي يتضمن موضوعات عن البيع والرهن والإجارة والإعارة والمساقات والمزارعة والمضاربة و... وطفقت أعدد له عناوين المعاملات في الفقه الإسلامي، فازداد انبهاره.

ثم أفصح عن انبهاره هذا بقوله: لم اسمع من قبل بكل الذي قلته؟! أجبته: أمر طبيعي إنك لا تعرف شيئاً عن الاقتصاد الإسلامي؛ لأنك لم تدرس شيئاً عن هذا الاقتصاد في المدارس بكافة مراحلها، وعندما دخلت إلى كلية الاقتصاد درستَ كل شيء إلا الاقتصاد الإسلامي، وإنك لو تصفّحت المنهج الدراسي فإنك لا تجد شيئاً عن الإسلام بكافة حقوله، ولو وجدت شيئاً فهو صور ولقطات مشوّهة عن التاريخ الإسلامي، عن الحروب والصراعات، وعن بطش الخلفاء وبطرهم، وما أشبه ذلك، وهي أمور ليس فيها أية فائدة لمن يريد التعرف على حقيقة الإسلام، بل هي تسبب عنده الاشمئزاز والنفور. أما الأمور المفيدة للمجتمع وبالأخص الأمور الحياتية، فلا تجد في هذه الكتب شيئاً عنها؛ لذا أرى من الضروري إضافة الاقتصاد الإسلامي إلى المناهج الدراسية وعلى الخصوص كلية الاقتصاد ليُدرَّس إلى جانب الألوان الأخرى من الأنظمة الاقتصادية، وشيئاً فشيئاً يتم تطبيق هذه القوانين، حتى يتم إزالة الفقر والفاقة من المجتمع، فعند تطبيق الاقتصاد الإسلامي سوف لن تجد فقيراً ولن تجد شخصاً بدون مسكنٍ، وما أشبه ذلك.

وضربت له مثالاً ببلد أوروبي وهو النَرويج، وقلت له: في هذا البلد الأوروبي ينعدم الفقراء، بينما تجد الفقراء والمساكين والمتكففين في بلادنا أينما ذهبت وبالمئات، ناهيك عن الفقراء الآخرين الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

. إلى أن قال: . من هذا المنطق اهتم الإسلام بالاقتصاد ووضع حلولاً لمشاكل البشر الاقتصادية.

ثم خاطبت الوزير: وأنتم من مصلحتكم إن أردتم البقاء، ومن مصلحة البلاد أن تفكروا بتقدمها، وأن تطبّقوا بنود الاقتصاد الإسلامي واحداً تلو الآخر.

قال الوزير بعد أن أصغى لكلامي: الإسلام غير قابل للتطبيق.

قلت له: هذه العبارة يكررها الذين يجهلون حقيقة الإسلام في كل زمان ومكان. ثم أضفت: أي جزء من الإسلام غير قابل للتطبيق؟ هل وجدت شيئاً من الإسلام غير قابل للتطبيق؟ كلامك أيها الوزير يخالف مقولة النبي الأكرمα: Σحلال

حزب البعث؛ حيث عمل أعداء الإسلام لسنين طويلة من أجل تقوية هذا الحزب وجعله أداة قوية وفعالة لتنفيذ مصالحهم وأغراضهم. فلابد لهم الاستفادة منه عشرات السنين على الأقل قبل التخلي عنه. فصدام مثلاً الذي لم يترك منكراً إلا فعله يسمى بطل القومية العربية أو رائد الأمة، وما إلى غير ذلك من الألقاب التي ما أنزل الله بها من سلطان. أفلا يعني هذا أنهم يريدون الاحتفاظ بهذا الحزب والإبقاء على قوته وصولته.

زارنا شخص قادماً من العراق، فسألته: هل تقام صلاة جماعة في صحن الإمام الحسينγ؟

قال: كلا، ولكن في بعض الأحيان يصلي أحد المعممين فيأتم به بضع مصلين الذين يكون بعضهم من عملاء النظام وجواسيسه من البعثيين، وليس لهم غاية من هذه الصلاة إلا التجسس ومراقبة الناس!

نعم، هكذا يفعلون في سبيل حفظ وجودهم وتحكيم قدرتهم وسيطرتهم على الناس، ونحن لا يمكننا أن نتخلص من هذه الأوضاع إلا بالنشاط والاهتمام والتفكير والعمل الجدي المتواصل في سبيل الخلاص، ومن الواضح أن من أوليات خلاصنا هو الإيمان بضرورة تعدد القدرة وتعدد الأحزاب الحرة، وإيجاد شورى الفقهاء المراجع؛ فهذه العوامل تعد من السبل المهمة التي توفر لنا التحرر من أسر أعداء الإسلام وأذنابه،كما تعد من أبرز العوامل في إدامة استقلالنا ومنحنا الحياة الحرة الآمنة، ولكن إيجادها في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى تفكير وحركة وعمل، ونفس طويل الأمد من الجميع والصبر على المشاكل حتى نحصل عليها، إن شاء الله تعالى.

محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامةP (انظر بصائر الدرجات: ص148 ب13 ح7) ليس في الإسلام بندٌ واحدٌ غير قابل للتطبيق.

صحيح أن هناك حالات نعمل فيها بقانون Σلا ضرر ولا ضرارP أو قانون Σالأهم والمهمP، وهذا لا يعني خروجاً عن الإسلام بل يعني الدخول من الإسلام إلى الإسلام؛ لأن هذه القوانين من واقع وصلب الإسلام. سمع الوزير كلامي وقال: إن شاء الله سأخبر الزعيم عبد الكريم قاسم بهذا الموضوع ثم قام وودعنا متوجها إلى بغداد. انظر كتاب (تلك الأيام) للإمام الراحل: ص126. وأيضاً راجع في هذا الباب: كتاب (الفقه، السياسة): ج106 وكتاب (مباحثات مع الشيوعيين)، و(القوميات في خمسين سنة)، و(ماركس ينهزم)، وغيرها للإمام الراحلϖ.

الصبر وطول النفس

عن حفص بن غياث، قال: قال أبو عبد اللهγ: Σيا حفص، إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً ـ ثم قال: ـ عليك بالصبر في جميع أمورك؛ فإن الله عزوجل بعث محمداًα، فأمره بالصبر والرفق فقال:Πواصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً& وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِO(61)، وقال تبارك وتعالى:Πادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ& وَما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍO(62).

فصبر رسول اللهα حتى نالوه بالعظائم، ورموه بها، فضاق صدره، فأنزل الله عزوجل: Πوَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ& فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَO(63).

ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله عزوجل: Πقَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ& وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُناO(64).

فألزم النبيα نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزوجل:Πوَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ& فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَO(65). فصبر النبيα في جميع أحواله، ثم بشر في عترته بالأئمةβ ووصفوا بالصبر، فقال جل ثناؤه: Πوَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَO(66). فعند ذلك قالα: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عزوجل ذلك له فأنزل الله عزوجل: Πوَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَدَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَما كانُوا يَعْرِشُونَO(67).

فقالα: إنه بشرى وانتقام، فأباح الله عزوجل له قتال المشركين، فأنزل الله:Πفَاقْتُلُوا

---

(61) سورة المزمل: 10، 11.

(62) سورة فصلت: 34 ـ 35.

(63) سورة الحجر: 97 ـ 98.

(64) سورة الأنعام: 33 ـ 34.

(65) سورة ق: 38 ـ 39.

(66) سورة السجدة: 24.

(67) سورة الأعراف: 137.

الْمُشْـرِكِينَ حَيْـثُ وَجَـدْتُمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ وَاحْصُـرُوهُمْ وَاقْعُـدُوا لَهُـمْ كُـلَّ مَرْصَـدO[68]، Πوَاقْتُلُـوهُمْ حَيْـثُ ثَقِفتُمُوهُمْO[69] فقتلهم الله على يدي رسول اللهα وأحبائه، وجعل له ثواب صبره، مع ما ادخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه، مع ما يدخر له في الآخرةP[70].

إن العدو يتبع سياسة الصبر وطول النفس؛ ولذا فإنه يحقق أهدافه ويتغلب علينا في أحيان كثيرة، يقال: إن البريطانيين بحثوا في مجلس العموم البريطاني أنه إذا كانت سياسة ما تعطي نتائجها المطلوبة بعد ثلاثمائة سنة فلابد من اتباع هذه السياسة والاستمرار فيها طوال هذه المدة المخمنة؛ حتى تؤتي أكلها وثمارها! فعلينا نحن أيضاً أن لا نتوقع ظهور النتيجة فوراً بل لابد من طول النفس.

فأولئك هكذا يخططون وهكذا يتصرفون ويسيرون، من أجل الوصول إلى أهدافهم.

أما المسلمون فإن بعضهم يريدون ظهور النتيجة والوصول إلى الهدف فوراً وبأسرع وقت من ودون تخطيط مسبق وصحيح، وهذا لا يوصل إلى الهدف عادة، قال تعالى في كتابه الكريم: Πكَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ& وَتَذَرُونَ الآخِرَةَO[71] ومن الواضح إن الذي يتعجل على الثمرة قبل أوانها، أو يتسرع لحصول النتائج ثم تتأخر عليه سوف يصاب بالملل واليأس، والنتيجة هي الهزيمة، وفي أحيان كثيرة يلجئه التسرع إلى أن يسير في غير الطريق الصحيح الموصل إلى الهدف، غافلاً عن خطأ سيره وانحرافه؛ ولذلك لم يصل في آخر الأمر إلى النتيجة الحسنة التي كان يطلبها، كل ذلك لعدم أخذ الاستعداد الكافي، والتسلح بالروح العالية، وطول النفس، والثقافة القوية، فهذه العوامل ـ وغيرها ـ هي التي تعينه على تحقيق أهدافه.

والخلاصة: إن كل ما نريده مما تقدم هو أن يدرك المسلمون وضعهم، ويكونوا دائماً في يقظة وحذر، وأن يوسعوا من نشاطاتهم في التبليغ والكتابة الواعية والهادفة للوقوف أمام هذه المخططات، فإن للنشاط وانتشار الإسلام وتقدمه على المستوى العالمي أثراً بالغاً في تقدم المسلمين وعودة المبادئ الإسلامية إلى الواقع بعد طرد الأفكار المعادية والمغرضة.

---

(68) سورة التوبة: 5.

(69) سورة البقرة: 191.

(70) حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار: ج1 ض 339 ب48 ح1. سورة القيامة: 20 21.

(71) سورة القيامة: 20-21.

Σسبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله...

وما أوضح الحق عند من هديته سبيله...

إلهي، فاسلك بنا سبل الوصول إليك...

وسيرنا في اقرب الطرق للوفود عليك...

قرّب علينا البعيد...

وسهل علينا العسير الشديد...

وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون...

وبابك على الدوام يطرقون...

وإياك في الليل والنهار يعبدون...P[72].

(72) الصحيفة السجادية، مناجاة المريدين ليوم الجمعة.

من هدي القرآن الحكيم

لا للكسل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى﴾[73].

وقال سبحانه: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[74].

وقال عزوجل: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ﴾[75].

النشاط في العمل

قال جل وعلا: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعى& وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾[76].

وقال سبحانه: ﴿فَلِذلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءهُمْ﴾[77].

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كاتِبُونَ﴾[78].

وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[79].

التطلع إلى المستقبل

قال عزوجل: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[80].

وقال جل وعلا: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[81].

النشاط الفكري

قال تبارك وتعالى: ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[82].

---

(73) سورة النساء: 142.

(74) سورة آل عمران: 139.

(75) سورة محمد: 35.

(76) سورة النجم: 39-40.

(77) سورة الشورى: 15.

(78) سورة الأنبياء: 94.

(79) سورة الأنعام: 132.

(80) سورة هود: 81.

(81) سورة الحشر: 18.

وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[83].

المسلمون والتنمية الاجتماعية

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾[84].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[85].

وقال عزوجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً﴾[86].

الإسلام دين الله

قال عز اسمه: ﴿مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[87].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[88].

الشورى في الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[89].

وقال سبحانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ﴾[90].

الأمة الإسلامية خير الأمم

قال عزوجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[91].

وقال جل وعلا:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ

---

(82) سورة البقرة: 219

(83) سورة الحشر: 21

(84) سورة الفتح: 29.

(85) سورة الحجرات: 10.

(86) سورة آل عمران: 103.

(87) سورة آل عمران: 85.

(88) سورة آل عمران: 19.

(89) سورة آل عمران: 159.

(90) سورة الشورى: 38.

(91) سورة آل عمران: 110.

دِيناً[92].

من هدي السنة المطهرة

في ذم الكسل

قال رسول اللهα: Σيا علي.. إياك وخصلتين: الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاًP[93].

وقال الإمام أمير المؤمنينγ. وهو يصف المؤمن.: Σبعيد كسله، دائم نشاطه، قريب أمله، حي قلبهP[94].

وقال الإمام الصادقγ: Σالكسل يضرّ بالدين والدنيا..P[95].

وقالγ: Σعدوّ العمل الكسلP[96].

العمل الصالح

قال رسول اللهα: Σالمداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل أرضى لله وأنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواءP[97].

ومن وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسينχ قال: Σيا بني، أوصيك بالعمل في النشاط والكسلP[98].

وقال الإمام الباقرγ: Σما من شيء أحب إلى الله عزوجل من عمل يداوم عليه وان قلP[99].

وقال الإمام الصادقγ: Σإن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل

---

(92) سورة المائدة: 3.

(93) مكارم الأخلاق: ص434.

(94) بحار الأنوار: ج75 ص26 ب15 ح92.

(95) بحار الأنوار: ج75 ص180 ب26 ضمن ح4.

(96) الكافي: ج5 ص85 كراهية الكسل ح1.

(97) مستدرك الوسائل: ج12 ص325 ب38 ح14209.

(98) تحف العقول: ص88 وصية الإمام علي لابنه الحسنχ.

(99) الكافي: ج2 ص82 باب استواء العمل والمداومة عليه ح3.

الكثير على غير يقينP[100].

المسابقة إلى الخيرات

قال رسول اللهα: Σمن فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنهP[101].

وقال الإمام أمير المؤمنينγ: Σانتهزوا فرص الخير فإنها تمر مر السحابP[102].

وقال الإمام الحسنγ: Σالفرصة سريعة الفوت بطيئة العودP[103].

وقال الإمام الصادقγ: Σخذ لنفسك خذ منها في الصحة قبل السقم، وفي القوة قبل الضعف، وفي الحياة قبل الممات P[104].

وقال رسول اللهα: Σيا علي! بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتكP[105].

نشاط الفكر

قال الإمام أمير المؤمنينγ: Σإنما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي..P[106].

وقال رسول اللهα: Σفإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات والنور يحسن التخلص ويقل التربصP[107].

وقال الإمام أمير المؤمنينγ: Σإن التفكر يدعو إلى البرّ والعمل بهP[108].

المسلمون والتنمية الاجتماعية

قال رسول اللهα: Σوالذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيمP.

---

(100) الكافي: ج2 ص57 باب فضل اليقين ح3.

(101) مستدرك الوسائل: ج12 ص140 ب90 ح12729.

(102) غرر الحكم ودرر الكلم: ص473 ق6 ب6 ف2 ح10810.

(103) غرر الحكم ودرر الكلم: ص473 ق6 ب6 ف2 ح10812.

(104) وسائل: ج16 ص101 ب97 ح21089.

(105) مكارم الأخلاق: ص435 ف3 في وصية النبيα لعليγ.

(106) نهج البلاغة، الخطب: 153 صفات الغافلين.

(107) بحار الأنوار: ج74 ص136 ب6 ح46.

(108) الكافي: ج2 ص55 باب التفكر ح5.

قالوا: يا رسول الله كلنا نرحم؟

قال: Σليس بالذي يرحم نفسه خاصة، ولكن الذي يرحم المسلمين عامةP[109].

وقال رسول اللهα: Σمداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيشP[110].

وقال الإمام الصادقγ: Σلكل شيء شيء يستريح إليه، وإن المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله، أو ما رأيت ذلك؟P[111].

المسلمون ومعرفة الأعداء

قال الإمام أمير المؤمنينγ: Σوالله إن امرءاً يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم عجزه..P[112].

وقال الإمام السجادγ: Σكفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيكP[113].

وقال الإمام الصادقγ: Σاحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهمP[114].

وقالγ: Σكان فيما أوصى به لقمان ابنه ناتان أن قال له: يابني، ليكن مما تتسلح به على عدوك فتصرعه المماسحة وإعلان الرضا عنه، ولا تزاوله بالمجانبة؛ فيبدو له ما في نفسك فيتأهب لكP[115].

المسلمون والشورى

قال رسول اللهα: Σما من رجل يشاور أحداً إلا هدي إلى الرشدP[116].

وقال الإمام أمير المؤمنينγ: Σالاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى

(109) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج2 ص11.

(110) تحف العقول: ص42 ما روي عنهα في قصار المعاني.

(111) بحار الأنوار: ج71 ص237 ب15 ضمن ح38.

(112) نهج البلاغة، الخطب: 34 من خطبة له γ في استنفار الناس إلى أهل الشام...

(113) بحار الأنوار: ج75 ص136 ب21 ضمن ح3.

(114) الكافي: ج2 ص335 باب اتباع الهوى ح1.

(115) أمالي الشيخ الصدوق: ص668 المجلس95 ح5.

(116) تفسير نور الثقلين: ج4 ص584 ح118.

برأيهP[117].

وقال الإمام الحسنγ: Σما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهمP[118].

وقال الإمام الباقرγ: Σفي التوراة أربعة أسطر: من لا يستشير يندمP[119].

وقال الإمام الكاظمγ: Σمن استشار لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأِ عاذراًP[120].

(117) نهج البلاغة، قصار الحكم: 211.

(118) تحف العقول: ص233 ما روي عنه γ في قصار المعاني.

(119) وسائل الشيعة: ج12 ص39 ب21 ح15584.

(120) مستدرك الوسائل: ج8 ص324 ب20 ح9611.

الفهرس

كلمة الناشر 2
المقدمة 5
انتشار الإسلام 6
عمومية الرسالة 6
السياسة الحكيمة لرسول اللهα 9
العفو العظيم 10
الأسوة الحسنة 12
اليقظة والفكر 13
لا يغيّر الله ما بقوم 15
كيف انتشر الإسلام؟ 16
علم الهدى 18
ستر العطاء 20
الهمة العالية 23
الصينيون وإحياء بلادهم 25
يقظة الأعداء 26
سياسة أعداء الإسلام 27
الغرب والبعث 32
الصبر وطول النفس 37
من هدي القرآن الحكيم 40
من هدي السنة المطهرة 42
الفهرس 46

رجوع إلى القائمة